

أَوَّلُ مَنْ أَلَّفَ فِي عُلُومِ الْقُرْآنِ رُؤْيَا جَدِيدَةً

د. خالد بن يوسف عمر الواصل (*)

مُلخَصُ البَحْثِ

هذه دراسة في مسألة قديمة مُتجدِّدة، وهي مسألة: مَنْ أَوَّلُ مَنْ أَلَّفَ فِي «علوم القرآن» بمعناه الاصطلاحي الجامع؟

مهَّدت لها بذكر أبرز الأقوال فيها باختصارٍ شديد، ثم ضمَّنتها رؤيةً جديدةً، أبدتُ فيها قولاً آخر لم يُعرَض في المسألة من قبل، وهو الذي دارت الدراسة حوله؛ أنَّ أولى من يستحق تلك المكانة هو أبو عبيد القاسم بن سلام (ت: ٢٢٤هـ) بكتابه «فضائل القرآن ومعالمه وآدابه»، قرَّرت ذلك من جوانب عديدة، يأتي على رأسها أمران:

(أ) تقدُّم أبي عبيد، ومكانته العلمية وجهوده في علوم القرآن من بين أعلام القرنين الثاني والثالث، استعرضت ذلك بإيجاز في المبحث الأول.
(ب) تَميُّز كتابه عن كُتُب غيره بأمر، منها:

١. تعدد علوم القرآن المذكورة فيه، مما يثبت تصنيفه ضمن كتب علوم القرآن الجامعة لا المفردة.

٢. تَميُّز عنوانه بوجود لفظ مقارب لِلقَب «علوم القرآن» الاصطلاحي.

٣. أثره الواضح في كتب علوم القرآن اللاحقة؛ المفردة منها والجامعة.

عَرَضْتُ ذلك في المبحث الثاني. وأكدت أن هذا وفق ما توصلت إليه.

(*) مدير تحرير مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية، وباحث بمركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي بمكة.

المقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:
فهذه دراسة مقتضبة، أصلها تعقيب متضمن لرأي جديد - أحسبه - في مسألة قديمة، لكنها متجددة دائماً، وستظل كذلك، وهي مسألة: مَنْ أَوَّلَ مَنْ أَلَّفَ فِي «علوم القرآن»؟ عَنَّتْ لحاطري في أثناء تنقيبي في بعض الكتب، فرأيت كتاباً لأحد أعلام المتقدمين، يكثر ذكره، وتتكرر الإشارة إليه في مختلف علوم القرآن، وهو الكتاب المشهور بـ «فضائل القرآن» لأبي عبيد القاسم بن سلام (ت: ٢٢٤هـ)، لكنني لم أعهد أحداً صنّفه ضمن كتب «علوم القرآن» بمعناه الاصطلاحي الجامع، وعليه لم أر من أدرجه ضمن مسألة: مَنْ أَوَّلَ مَنْ أَلَّفَ فِي «علوم القرآن»، مما حفّزني على البحث في الأمر، وتقرير ذلك الخبر، في دراسة شاملة، تُبرز ما خفي، وتُظهر ما استكنّ، وتُبدي ما دهل عنه كثير ممن استعرض هذه المسألة.

أسئلة البحث:

يحاول البحث الإجابة عن الأسئلة التالية:

- ◀ أَيْصَنَّفَ كتاب «فضائل القرآن» لأبي عبيد ضمن كتب «علوم القرآن» المفردة أم الجامعة؟
- ◀ وبالتالي: هل يمكن أن يُعدَّ أول مؤلّف في «علوم القرآن» بمعناه الاصطلاحي الجامع؟
- ◀ وعليه: هل أبو عبيد القاسم بن سلام أول من أَلَّفَ فِي «علوم القرآن» بمعناه الاصطلاحي الجامع؟

خطة البحث:

تضمّنت الدراسة مقدمة، وتمهيداً، ومبحثين، وخاتمة:
تمهيد: التأليف في علوم القرآن وأبرز الآراء في أول من أَلَّفَ فيها
أولاً: التأليف في علوم القرآن.
ثانياً: أبرز الآراء في أول من أَلَّفَ فِي علوم القرآن.

المبحث الأول: أبو عبيد القاسم بن سلام وآثاره في علوم القرآن

المطلب الأول: أبو عبيد ومكانته العلمية.

المطلب الثاني: جهود أبي عبيد وآثاره في علوم القرآن.

المبحث الثاني: أولية أبي عبيد القاسم بن سلام في التأليف في «علوم القرآن»

المطلب الأول: أيصنف كتاب «فضائل القرآن» لأبي عبيد ضمن كتب «علوم

القرآن» المفردة أم الجامعة؟

المطلب الثاني: هل يمكن أن يعدّ كتاب «فضائل القرآن» لأبي عبيد أول مؤلّف

في «علوم القرآن»؟

المطلب الثالث: أثر كتاب «فضائل القرآن» لأبي عبيد في كتب علوم القرآن.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج.

وهذا أوّان الشروع في المقصود، بعون الملك المعبود.

تمهيد

التأليف في علوم القرآن وأبرز الآراء في أول من ألف فيها

أولاً: التأليف في علوم القرآن:

علوم القرآن هي مباحث متعلقة بالقرآن الكريم من حيث تاريخه، وتلاوته، وتفسيره^(١)، وللتأليف فيها بصورة مستقلة طريقتان أساسيتان:

أ) طريقة التأليف المفرد: ونقصد به التأليف في نوع من أنواع علوم القرآن، وكانت بدايتها مبكرة جداً مع بداية عصر التدوين لعموم الشريعة، وأضرب أمثلةً لذلك بما يلي^(٢):

◀ في علم «التفسير»: ألف مجاهد بن جبر (ت: ١٠٣هـ)^(٣)، ومقاتل بن سليمان (ت: ١٥٠هـ)^(٤)، وسفيان الثوري (ت: ١٦١هـ)^(٥)، ويحيى بن سلام (ت: ٢٠٠هـ)^(٦).

◀ في علم «المكي والمدني»: ألف عكرمة (ت: ١٠٤هـ)، والضحاك بن مزاحم (ت: ١٠٥هـ)، والحسن البصري (ت: ١١٠هـ)، وابن شهاب الزهري (ت: ١٢٤هـ)^(٧).

◀ في علم «الناسخ والمنسوخ»: ألف قتادة بن دعامة السدوسي (ت: ١١٧هـ)، وابن شهاب الزهري (ت: ١٢٤هـ)^(٨)، وعطاء الخراساني (ت: ١٣٥هـ)، وعبد الرحمن ابن زيد بن أسلم (ت: ١٨٢هـ)، وغيرهم.

(١) لست بصدد اختيار تعريف جامع مانع لهذا العلم، ومناقشة التعاريف المطروحة في ذلك، فهذا خارج نطاق الدراسة، وإنما أردت التمهيد بطرح مفهوم عام لعلوم القرآن من خلال محاور علوم القرآن الثلاثة الكبرى:

تاريخ القرآن (نزوله وتوثيقه)، تلاوة القرآن، تفسير القرآن، والتي لا تكاد تخرج عنها أنواع علوم القرآن.

(٢) ينظر: المحرر في علوم القرآن (ص ٣٢ - ٣٤)، مقال «علوم القرآن: تاريخه وتصنيف أنواعه» د. مساعد الطيار، مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية (١٤)، ربيع الآخر (١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م) (ص ٨٨ - ٩٢).

(٣) مطبوع أكثر من طبعة، ويرى الدكتور حكمت بشير ياسين أنه تفسير آدم بن أبي إياس (ت: ٢٢٠هـ)؛ لأن معظم رواياته من طريقه. ينظر: استدراقات على تاريخ التراث العربي «قسم التفسير وعلوم القرآن» (٢٣/٢ - ٣٠، ١٠٣).

(٤) مطبوع أكثر من طبعة. أولها من تحقيق د. عبد الله شحاتة.

(٥) مطبوع أكثر من طبعة.

(٦) طبعت قطعة كبيرة منه بتحقيق الدكتورة هند شليبي، نشر دار الكتب العلمية.

(٧) وهو مطبوع أكثر من طبعة، منها بتحقيق د. حاتم الضامن بعنوان: «تنزيل القرآن بمكة والمدينة»، نشر مؤسسة الرسالة.

(٨) وهما مطبوعان بتحقيق د. حاتم الضامن، نشر مؤسسة الرسالة.

◀ في علم «الوجوه والنظائر»: أَلْفُ مُقَاتِلِ بْنِ سُلَيْمَانَ (ت: ١٥٠هـ)^(١)، وموسى بن هارون الأَعْوَر (ت: ١٧٠هـ)^(٢)، وَيَحْيَى بْنُ سَلَامٍ (ت: ٢٠٠هـ)^(٣).

◀ في علم «القراءات»: أَلْفُ يَحْيَى بْنِ يَعْمَرَ (ت: ٨٩هـ)، وموسى بن هارون الأَعْوَر (ت: ١٧٠هـ)، وأبو عَبِيدٍ الْقَاسِمِ بْنِ سَلَامٍ (ت: ٢٢٤هـ).

وفي العلوم المتعلقة بها: كتاب «المقطوع والموصول» لعبد الله بن عامر اليحصبي الشامي أحد القراء السبعة (ت: ١١٨هـ)، «وقف التمام» لنافع بن عبد الرحمن المدني أحد القراء السبعة (ت: ١٦٩هـ)، و«متشابه القرآن» لأبي الحسن علي بن حمزة الكسائي الكوفي أحد القراء السبعة (ت: ١٨٩هـ)^(٤).

وهذه الطريقة ليست مرادنا في هذه الدراسة.

(ب) طريقة التأليف الجمعي: ونقصد بذلك المصنّفات التي أُلْفِتْ في علوم القرآن أصالةً واستقلالاً، بجمع عدد من أنواع علوم القرآن في كتاب واحد، ودراستها دراسة تأصيلية لا تطبيقية، وهو المراد عند إطلاق علم «علوم القرآن»، والذي نقصده في هذه الدراسة.

ضوابط وتنبيهات ينبغي مراعاتها عند تحديد المؤلفات الجامعة في علوم القرآن:

عند البحث عن هذا النوع من المؤلفات ينبغي التنبُّهُ لأُمُور، منها:

١. أنه لا يندرج ضمنها الكتب التي وضعت أصالةً في بابها التي أُلْفِتْ فيه، لكن احتوت على بعض المسائل المتعلقة بعلوم القرآن، مثل كتب التفسير التي تناولت علوم القرآن من خلال مقدماتها، أو من خلال تطبيقاتها في ثناياها، ومثلها كتب علوم الشريعة الأخرى ككتب السنة الجامعة وأصول الفقه وغيرها، ومن هنا جانب الصواب من ادّعى أن لبعض مثل هذه التأليف الأُولِيَّةِ في مؤلفات علوم القرآن،

(١) مطبوع بعنوان «الأشباه والنظائر» من تحقيق د. عبد الله شحاتة.

(٢) وهو مطبوع بتحقيق د. حاتم الضامن.

(٣) مطبوع أكثر من طبعة، أولها من تحقيق الدكتورة هند شلبي، بعنوان «التصاريف: تفسير لما اشتبهت أسماؤه وتصرفت معانيه في القرآن الكريم».

(٤) طبع بتحقيق د. صبيح التميمي، ونشر كلية الدعوة الإسلامية بطرابلس الغرب.

كتفسير يحيى بن سلام (ت: ٢٠٠هـ)، أو الرسالة للشافعي (ت: ٢٠٤هـ)^(١)، نعم هي من المصادر الأوّلية لهذا العلم؛ وتمثل مرحلة مهمة في التاريخ التدويني له؛ لكن لا تُعدّ ضمن مصنفاته أصالةً واستقلالاً.

٢. أنه لا يلزم في هذه المصنفات - حتى تُعدّ من كتب علوم القرآن - أن يتضمّن عنوانها مصطلح «علوم القرآن» - أو ما كان بمعناه -؛ لأن الذي يحكّم ذلك هو مضمون الكتاب ومنهجه في عرضه، ولو لم يتضح من ظاهر عنوانه، ولا سيّما عند المتقدمين الذين لم يتوحّد هذا العنوان عندهم ويتميّز^(٢)، بل حتى المتأخرين برز منهم من عَنَوَن لكتابه بعنوانٍ مختلفٍ قد لا يدلُّ على مضمون الكتاب كلياً، فمن ذلك:

◀ «جمال القرآن وكمال الإقراء» لعلم الدين السخاوي (ت: ٦٤٣هـ).

◀ «مواقع العلوم من مواقع النجوم» لجلال الدين البلقيني (ت: ٨٢٤هـ).

◀ «الفوز الكبير في أصول التفسير» لولي الله الدهلوي (ت: ١١٧٦هـ).

◀ «التحبير في علوم التفسير»، وهو الكتاب الأوّل في علوم القرآن للسيوطي (ت: ٩١١هـ).

٣. كذلك لا يلزم أن كل كتاب تضمن عنوانه «علوم القرآن» أن يكون في هذا العلم بمنهجيته الذي استقرّ عليها؛ لأن كثيراً من المفسرين من صمّن عنوان تفسيره مثل ذلك، ومن أمثلة تلك التفاسير^(٣):

◀ «المختزن في علوم القرآن» لأبي الحسن الأشعري (ت: ٣٢٤هـ).

◀ «الجامع لعلم القرآن» لأبي الحسن علي بن عيسى الرّماني المعتزلي (ت: ٣٨٤هـ).

◀ «الاستغناء في علوم القرآن» لأبي بكر محمد بن علي الأذفوي (ت: ٣٨٨هـ).

(١) ينظر مثلاً: منهج يحيى بن سلام في التفسير (ص ٥٨٧). وهذا الضابط يفنّد أيضاً رأي د. محمد أبو شهبه - رحمه الله - عندما أدرج مقدمة تفسير «المباني في نظم المعاني» ضمن مؤلفات علوم القرآن الجامعة، ورأى أن لها أوّليّة التأليف فيها، وهذا دون أن يتعرف على مؤلف الكتاب، ينظر: المدخل لدراسة القرآن الكريم (ص ٣٦، ٣٥)، وقد توصل د. غانم قدوري الحمد - لاحقاً - إلى أنّ مؤلف الكتاب هو أبو محمد حامد بن بسطام (ت: بعد ٤٢٥هـ). ينظر: علوم القرآن بين البرهان والإتقان (ص ٤٤) (ح ٤).

(٢) أشار الدكتور حازم سعيد إلى أن مصطلح «علوم القرآن» كان يراد منه التفسير وذلك قبل المائة الخامسة من الهجرة. ينظر: علوم القرآن بين البرهان والإتقان (ص ٨١).

(٣) ينظر: المرجع السابق، مقال «علوم القرآن: تاريخه وتصنيف أنواعه» (ص ١٠٢ - ١٠٥).

- ◀ «التحصيل لفوائد كتاب التفصيل الجامع لعلوم التَّنْزِيل» لأحمد بن عَمَّار المهْدَوِي (ت: ٤٤٠هـ).
- ◀ «البستان في علوم القرآن» لأبي القاسم الحَمَوِي (ت: ٧٣٨هـ).
- ◀ «التسهيل لعلوم التَّنْزِيل» لابن جَزَي الكَلْبِي الأَنْدَلِسِي (ت: ٧٤١هـ).
- ◀ «اللُّبَاب في علوم الكتاب» لابن عادل الحنبلي (ت: ٨٨٠هـ).

ثانياً: أبرز الآراء في أوَّل من أَلَّف في علوم القرآن:

مما سبق يتبين أن تصنيف كتاب ضمن كتب «علوم القرآن» ينبغي أن يكون من خلال مضمون الكتاب ومنهجه، إضافة إلى كونه موضوعاً لعلوم القرآن أصالةً واستقلالاً، بصرف النظر عن تَصَمُّنْ عُنْوَانِهِ لمصطلح «علوم القرآن» أو ما يماثله، ومن هنا ينبغي حضور هذه المقدمات والضوابط عند البحث عن أوَّل مُؤَلِّف في علوم القرآن.

وقبل استعراض الأقوال في أوَّل من أَلَّف في هذا العلم أُشِيرُ إلى أَنَّ المتقدمين لم يعتنوا ببيان هذه المسألة كما اعتنوا بها في كثير من علوم الشريعة كأصول الفقه وعلوم الحديث والقراءات وغيرها، بل إنَّ التَّأْلِيف في هذا العلم كانت خافيةً على كثيرٍ مِمَّنْ أَلَّف فيه، حتى بلغ الأمر بالسيوطي (ت: ٩١١هـ) - في بداية الطلب - أن يتعجب من المتقدمين كيف لم يدوّنوا كتاباً في علوم القرآن؟! إلى أن وقف على كتاب شيخه أبي عبد الله الكافِي (ت: ٨٧٩هـ): «التيسير في قواعد التفسير»^(١)، لكنَّهُ لم يَشْفَ له غليلاً نظراً لصِغَرِهِ واقتضاره على مسائل في أصول التفسير خاصة، ثم وقف على كتاب «مواقع العلوم من مواقع النجوم»^(٢) لجلال الدين البلقيني (ت: ٨٢٤هـ)، فأعجِب به ونقَّحَه وزاد عليه وتَمَمَه في كتابه «التحبير في علوم التفسير»^(٣)، ثم بدَا له أن يُؤَلِّف كتاباً مبسوطاً، وهو يظُنُّ أنه مُتَّفَرِّدٌ بذلك غير مسبوق، حتى بلَّغَه كتاب «البرهان في علوم القرآن» لبدر الدين الزركشي (ت: ٧٩٤هـ) فَسَرَّ به وشَدَّ من عَزْمِهِ فأَلَّف كتابه «الإتقان في علوم القرآن»^(٤).

- (١) مطبوع بتحقيق د. ناصر محمد المطرودي، ونشر دار القلم بدمشق ودار الرفاعي بالرياض سنة (١٩٩٠م)، وقد نقل السيوطي عنه قوله: «قد دوَّنتُ في علوم التفسير كتاباً لم أسبق إليه». ينظر: مقدمة الإتقان (٥/١).
- (٢) طبع مؤخراً بتحقيق د. أنور محمود المرسي خطاب، دار الصحابة، طنطا - مصر (٢٠٠٧م).
- (٣) طبع أكثر من طبعة.
- (٤) ينظر: مقدمة الإتقان (٤/١ - ١٦).

وكذا الزركشي، رأى أنه أول من ألف في هذا العلم؛ فقد قال في مقدمة كتابه: «ومما فات المتقدمين وُضِعَ كتابٍ يشتمل على أنواع علومه، كما وضع الناس ذلك بالنسبة إلى علم الحديث؛ فاستخرت الله تعالى - وله الحمد - في وضع كتابٍ في ذلك جامع لما تكلم الناس في فنونه، وخاضوا في نكته وعيونه...، وسميته: البرهان في علوم القرآن»^(١)، وقد وافقه في ذلك محقق كتابه محمد أبو الفضل إبراهيم^(٢).

ولا شك أن هذا القول في غير محله؛ إلا أن يراد به الجمع الكلي الشامل في علوم القرآن مع محاولة الاستقصاء، فهو - بلا شك - له حظٌ وافٍ من ذلك، والله أعلم.

وقد ظهر الاعتناء بهذه المسألة جلياً لدى المعاصرين، فعرضوا فيها آراء عديدة لا تخلو من مناقشة، وكان كل قولٍ يستجدُّ يُنقَضُ ما قبله، وسوف أعرض لأبرز هذه الآراء مُرتَّبةً ترتيباً تنازلياً الأقدم فالأقدم، بصورةٍ مختصرةٍ موجزةٍ، إذ إنَّ المقصود من هذه الدراسة هو إبراز قولٍ جديدٍ لم يَطْرُقْ من بحث في هذه المسألة:

١. أن أول من ألف في علوم القرآن هو أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي (ت: ٥٩٧هـ) بكتابه «فنون الأفتان في عيون علوم القرآن»^(٣)، اختاره بعض المعاصرين كالشيخ غزلان^(٤)، وقد يستنتج هذا مما ذكره السيوطي في مقدمة الإتيقان^(٥).

٢. علي بن إبراهيم الحوفي (ت: ٤٣٠هـ) بكتابه الذي أطلق عليه من اعتبره أول مؤلف في علوم القرآن: «البرهان في علوم القرآن»، كالشيخ عبد العظيم الزرقاني (ت: ١٣٦٧هـ) في كتابه «مناهل العرفان في علوم القرآن»^(٦) - وهو من أوائل من طرَّق هذه المسألة - فقد رجَّح هذا معتمداً على ما ظفر به من نسخة للكتاب في دار الكتب المصرية، مقررراً ذلك من خلال العنوان الذي وجده على هذه النسخة،

(١) البرهان في علوم القرآن (٩/١).

(٢) ينظر: مقدمته لتحقيق الإتيقان (٧/١).

(٣) طبع بتحقيق د. حسن ضياء الدين عتر، نشر دار البشائر، بيروت (١٤٠٨هـ).

(٤) ينظر: علوم القرآن بين البرهان والإتيقان لحازم سعيد حيدر (ص ٩٣).

(٥) ينظر: المدخل لدراسة القرآن الكريم لأبي شهبه (ص ٣٥).

(٦) ينظر: (ص ٣٤، ٣٥).

ووافقه في هذا الشيخ متاع القطان رحمه الله (ت: ١٤٢٠هـ)^(١)؛ لكن تبين أن الكتاب في التفسير، وقد تقرّر ذلك عند عدد من المتقدمين والمعاصرين^(٢)، بل إن الزرقاني - رحمه الله - ظهر له شيء من ذلك في أثناء عرضه لمنهج الكتاب^(٣).

٣. أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري (ت: ٣٢٨هـ) بكتابه «عجائب علوم القرآن» قال به الدكتور حسن ضياء الدين عتر محقق كتاب «فنون الأفتان في عيون علوم القرآن» لابن الجوزي (ت: ٥٩٧هـ)^(٤)، لكن تبين أن الكتاب ليس لأبي بكر الأنباري، بل هو كتاب «فنون الأفتان لابن الجوزي»! أخطأ مفهرسو مخطوطة للكتاب في معرفة المؤلف فنسبها لأبي بكر الأنباري^(٥).

٤. محمد بن خلف بن المرزبان (ت: ٣٠٩هـ) بكتابه «الحاوي في علوم القرآن»، اختاره الدكتور صبحي الصالح رحمه الله (ت: ١٤٠٧هـ)^(٦)، وهو ظاهر اختيار الدكتور فهد

(١) ينظر كتابه: مباحث في علوم القرآن (ص ١٤).

(٢) ينظر: البرهان للزركشي (٢٩٣/٣)، المدخل لدراسة القرآن الكريم لأبي شهبة (ص ٣٦)، حيث رجّح أن عنوان الكتاب الصحيح هو: «البرهان في تفسير القرآن». وينظر أيضاً: مقدمة د. حسن ضياء الدين عتر لفنون الأفتان (٧٢ - ٧٣)، دراسات في علوم القرآن الكريم، للدكتور فهد الرومي (ص ٤٤)، كتاب مناهل العرفان: دراسة وتقويم، للدكتور خالد السبت (٤٠/١ - ٤١)، علوم القرآن بين البرهان والإتقان، للدكتور حازم سعيد حيدر (ص ٨٧ - ٨٩). هذا وقد رواه ابن خير الإشبيلي (ت: ٥٧٥هـ) في فهرسته (ص ٦٣) بسنده عن مؤلفه بعنوان «البرهان في علوم القرآن». وهذا يجعلنا نتساءل: هل نظر الحوفي إلى هذا التقسيم (القول في القراءة، القول في التمام، القول في الإعراب... إلخ) فحكم بعنوان الكتاب «علوم القرآن» - مما يدل على أن هذا الإطلاق متقرر عنده على علوم القرآن - أو جعل هذا العنوان مرادفاً لتفسير القرآن؟ أفادني بذلك أحد محكمي البحث جزاءه الله خيراً.

(٣) ينظر: مناهل العرفان للزرقاني (٢٦/١، ٢٧). ومن هنا يتضح لنا ما تقدم من أنه ينبغي لأي شخص عدم الاعتماد على العنوان في تصنيف الكتب - ولا سيما كتب المتقدمين - وفق الاصطلاح المتقرر لديه، لاحتمال اختلاف المقصود، وهذا ما وقع في مصطلح «علوم القرآن» الذي كان يراد منه التفسير قبل المائة الخامسة من الهجرة. ينظر: علوم القرآن بين البرهان والإتقان لحازم سعيد حيدر (ص ٨١).

(٤) ينظر: مقدمة تحقيق الكتاب (ص ٧٣).

(٥) ينظر: مقال: تحقيق نسبة كتاب «عجائب علوم القرآن»، لأبي بكر محمد بن القاسم الأنباري، د. حازم سعيد حيدر، مجلة عالم المخطوطات والنوادر (مج ١) (٢٤) (ص ٤٠٣ - ٤١٦)، علوم القرآن بين البرهان والإتقان لحازم سعيد حيدر (ص ٩٠، ٩١)، دراسات في علوم القرآن لفهد الرومي (ص ٤٥) (ح ١)، كتاب مناهل العرفان: دراسة وتقويم (٤٢/١) (ح ١).

(٦) ينظر كتابه: مباحث في علوم القرآن (ص ١٢٤).

الرومي^(١)، وعمدة هذا الرأي هو ظاهر عنوان الكتاب، لكن - كما تقدم - لا ينبغي الحزم بمضمون الكتاب اعتماداً على العنوان، وقد ترجّح أن الكتاب في التفسير، ولا سيما أنه وُصف بما يدلُّ على سعته وكبر حجمه^(٢).

٥. الحارث بن أسد المحاسبي (ت: ٢٤٣هـ) بكتابه «فهم القرآن»^(٣)، رجّح ذلك كل من الدكتور فاروق حمادة، والدكتور حازم سعيد حيدر^(٤)، والدكتور مساعد الطيار، والدكتور محمد صفاء حقي، وغيرهم، وذلك من خلال النظر إلى مباحث الكتاب التي تدور حول عدد من علوم القرآن، وإن كان عنوان الكتاب لا يدلُّ عليه^(٥).

رأي آخر لم يُطرح في المسألة:

مما تقدم يتبيّن أن أقدم من قيل إنّه أول من ألف في علوم القرآن بمعناه الجمعي هو الحارث بن أسد المحاسبي (ت: ٢٤٣هـ) بكتابه «فهم القرآن»؛ لكنني في هذه الدراسة أرجّح رأياً آخر لم يذكره من ناقش هذه المسألة مُؤيِّداً ذلك بأدلة ومرجّحات، يأتي على رأسها أمران مهمان؛ أولهما: تقدّم مؤلفه، وعظّم مكانته في الدراسات القرآنية والتدوين فيها. والآخر: موافقة كتابه لوصف كتب علوم القرآن وأثره الكبير فيما بعده من مؤلفات علوم القرآن.

أما هذا المؤلف فهو أبو عبّيد القاسم بن سلام (ت: ٢٢٤هـ) رحمه الله. وسوف أعرض هذين الأمرين في المبحثين التاليين.

- (١) ينظر كتابه: دراسات في علوم القرآن (ص ٤٥).
- (٢) ينظر: كتاب مناهل العرفان: دراسة وتقويم (٤١/١)، علوم القرآن بين البرهان والإتقان لحازم سعيد حيدر (ص ٩٢ - ٩٣).
- (٣) طبع مع كتاب العقل للحارث أيضاً بعنوان «العقل وفهم القرآن»، تحقيق: د. شكري القوّتلي، دار الكندي.
- (٤) ينظر: علوم القرآن بين البرهان والإتقان (ص ١٠٥)، وهو رأي في أول من ألف في علوم القرآن باعتبار المحتوى والمضمون دون العنوان، أما باعتبار المحتوى والمضمون مع العنوان فيرى أن أول من ألف فيه أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب النيسابوري (ت: ٤٠٦هـ) بكتابه «التنبيه على فضل علوم القرآن».
- (٥) ينظر: مدخل إلى علوم القرآن، للدكتور فاروق حمادة (ص ١٠)، علوم القرآن من خلال مقدمات التفسير، للدكتور محمد صفاء حقي (ص ١٦١)، المحرر في علوم القرآن (ص ٤٣)، ومقال: علوم القرآن: تاريخه وتصنيف أنواعه، بمجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية (١٤) ربيع الآخر (١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م) (ص ٩٤)، كلاهما للدكتور مساعد الطيار.

المبحث الأول

أبو عبيد القاسم بن سلام وآثاره في علوم القرآن

المطلب الأول: أبو عبيد ومكانته العلمية^(١):

أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي ثم البغدادي، الإمام الحافظ العلامة اللغوي المقرئ المجتهد، ولد في مدينة هراة إحدى مدن خراسان، عام (١٥٤هـ) وقيل: (١٥٧هـ)، وقيل غير ذلك، ورحل لطلب العلم إلى بغداد والبصرة والكوفة والشام ومصر والحجاز^(٢)، وتلقى مختلف العلوم من أعيان علماء عصره:

فقرأ على أئمة قراء عصره، كالكسائي (ت: ١٨٩هـ) وإسماعيل بن جعفر (ت: ١٨٠هـ)، وشجاع بن أبي نصر البلخي (ت: ١٩٠هـ)، وسليم بن عيسى (ت: ١٨٨هـ) صاحب حمزة الزيات، ويحيى بن المبارك اليزيدي (ت: ٢٠٢هـ) صاحب أبي عمرو البصري، وهشام بن عمار (ت: ٢٤٥هـ) راوي قراءة ابن عامر، وغيرهم.

وروى عن مشاهير محدثي عصره كشريك بن عبد الله القاضي (ت: ١٧٧هـ)، وعبد الله بن المبارك (ت: ١٨١هـ)، وهشيم (ت: ١٨٣هـ)، وأبي بكر بن عيَّاش (ت: ١٩٣هـ)، وعبد الرحمن بن مهدي (ت: ١٩٧هـ)، ووكيع بن الجراح (ت: ١٩٧هـ)، وسفيان بن عيينة (ت: ١٩٨هـ)، ويزيد بن هارون (ت: ٢٠٦هـ)، وغيرهم.

وأخذ النحو واللغة عن أكابر لغويي الكوفة والبصرة، كالكسائي (ت: ١٨٩هـ)، وأبي عمرو الشيباني (ت: ٢٠٥هـ)، والقراء (ت: ٢٠٧هـ)، وأبي عبيدة مَعمر بن المثنى (ت: ٢٠٩هـ)، وأبي زيد الأنصاري (ت: ٢١٤هـ)، والأصمعي (ت: ٢١٧هـ)، وابن الأعرابي (ت: ٢٣١هـ)، وغيرهم.

(١) أهدت في ترجمته من المصادر التالية: طبقات ابن سعد (٣٥٥/٧)، طبقات النحويين واللغويين، للزيدي (ص ١٩٩)، تاريخ بغداد (٤٠٣/١٢)، تاريخ دمشق (٧٧/٤٩)، تهذيب الكمال (٣٥٤/٢٣)، تذكرة الحفاظ (٤١٧/٢)، معرفة القراء الكبار (١٤١/١)، سير أعلام النبلاء (٤٩٠/١٠)، وغيرها.

ومن كتب المعاصرين: مقدمة د. رمضان عبد التواب لتحقيق كتاب «الغريب المصنف» لأبي عبيد (٩١ - ٦٤)، مقدمة الأستاذ أحمد عبد الوهاب الخياطي لتحقيق كتاب «فضائل القرآن» لأبي عبيد، جهود أبي عبيد القاسم بن سلام في علوم القراءات، للدكتور أحمد فارس السلوم، مقدمة محمد المديفر لتحقيق كتاب «الناسخ والمنسوخ» لأبي عبيد، وغيرها.

(٢) ومن هنا كثر شيوخه ومن أخذ عنهم العلم، حتى عدّ منهم الأستاذ أحمد عبد الوهاب الخياطي (١٥٨) شيخاً. ينظر: مقدمة تحقيقه كتاب «فضائل القرآن» لأبي عبيد (ص ٧٦/١ - ٩٠).

فهؤلاء أعلام القراء والمحدثين والُحاة واللُغويين في القرن الثاني الهجري - بكثرتهم واختلاف مشاربهم في العلوم ومذاهبها - تخرّج فيهم تلميذهم النابغة علماً في كل فنّ، مشاركاً في كل علم، واسع الثقافة، متنوّع التصنيف، مُكثراً في التأليف، بل هو أكثر المتقدمين تصنيفاً في شتى العلوم، لذا تنازعه أهل كل فنّ، وافتخر به ذوو كل علم، وتجاذبه أصحاب الطبقات، فعُدّ في طبقات القراء^(١)، وطبقات المفسّرين^(٢)، وطبقات الحفاظ^(٣)، وطبقات الفقهاء^(٤)، وطبقات النحويين واللُغويين^(٥)، وطبقات الأدباء^(٦)، وطبقات النّسّابين^(٧). وهذا مصداق قول الحاكم - في معرض حديثه عن ابن قُتَيْبَةَ -: «كان ابن قُتَيْبَةَ يتعاطى التقدّم في علوم كثيرة، ولم يرْضَهُ أهل كل علم، وإنما الإمام المقبول عند الكلّ أبو عُبَيْدٍ»^(٨).

وقد نال - رحمه الله - شُهْرَةً عظيمةً في حياته وبعد مماته، ومدحه أعلام معاصريه^(٩) ومن بعدهم، وأنشأوا على علمه ومصنّفاته، ووصفوه بالورع وحُسن السّيرة، واتّسع العلم،

- (١) ينظر: معرفة القراء الكبار، للذهبي (١٤١/١)، وغاية النهاية (١٧/٢).
- (٢) ينظر: طبقات المفسرين، للدودي (٣٢/٢).
- (٣) ينظر: تذكرة الحفاظ، للذهبي (٤١٧/٢).
- (٤) ينظر: طبقات الحنابلة، لأبي يعلى (٢٥٩/١)، طبقات الشافعية الكبرى، للسبكي (١٥٣/٢)، ويلاحظ أن فقهاء الشافعية والحنابلة تنازعه، والحق أنه إمام مجتهد لا يُقلد أحداً، كما سيأتي في كلام الخطيب البغدادي والذهبي.
- (٥) ينظر: طبقات النحويين واللغويين، للزبيدي (ص ١٩٩)، مراتب النحويين، لأبي الطيب اللغوي (ص ١٩٨)، إنباه الرواة، للقفطي (١٨/٣).
- (٦) ينظر: معجم الأدباء، لياقوت الحموي (٢٥٤/١٦).
- (٧) ينظر: طبقات النّسّابين، لبكر بن عبد الله أبو زيد (ص ٥٣).
- (٨) سير أعلام النبلاء (٥٠٠/١٠، ٥٠٤).
- (٩) من ذلك قول إسحاق بن راهويه (ت: ٢٣٨هـ): «إن الله لا يستحي من الحق: أبو عُبيد أعلم مني، ومن ابن حنبل، والشافعي». وقال أحمد بن حنبل (ت: ٢٤١هـ): «أبو عُبيد أستاذ، وهو يزداد كل يوم خيراً». وسئل يحيى بن معين (ت: ٢٣٣هـ) عن الكتابة والسمع منه، فتبسّم وقال: «مثلي يُسأل عن أبي عُبيد؟! أبو عُبيد يُسأل عن الناس! لقد كنت عند الأصمعي إذ أقبل أبو عُبيد، فقال: أترؤن هذا المُقبِل؟ فقالوا: نعم، قال: لن يضيع الناس ما حييَ هذا المُقبِل». ينظر: تاريخ بغداد (٤١٤/١٢)، إنباه الرواة (٢١/٣)، تذكرة الحفاظ (٤١٧/١)، سير أعلام النبلاء (٥٠٤، ٥٠٠/١٠).

والتفتن في التصنيف، والاجتهاد والتبحر في العلوم^(١)، وكثيراً ما يُذكر مع أقرانه الأعلام ويبيّن ما فاقهم فيه^(٢).

هذا الشئ نتاج واقع يشهد له ما تركه أبو عبيد من تصانيف بديعة، وتأليف سائرة، وكتب ذائعة، وآثار مؤنقة، في شتى الفنون، ومُحتَلَف العلوم، سارت بها الركبان، وتنافس في أخذها الأقران، وكان لها الأثر الكبير فيمن بعده، بلغت الخمسين كتاباً أو تزيد، ولعلي أعرض - بإيجاز - بعض ما ذُكر منها^(٣)، مُرجئاً الحديث - بشيء من التفصيل - عمّا يتعلق بالقرآن وعلومه إلى المطلب التالي.

ففي العقيدة كان - رحمه الله - حسن المعتقد على مذهب السلف^(٤)، وله رسالة صغيرة جليلة المحتوى بعنوان «كتاب الإيمان ومعالمه وسننه واستكمال درجاته»^(٥).

أما الحديث الذي كان فيه راويةً فذاً، ومُحدَّثاً ماهراً، مُعْتَبِراً بالأسانيد التي زانت تأليفه، وميّزت تصانيفه؛ فقد أَلَّف في علومه كُتُباً عديدة، من ذلك: غريب الحديث^(٦)،

(١) كقول الجاحظ: «ومن المعلمين ثم الفقهاء والمحدثين، ومن النحويين والعلماء بالكتاب والسنة، والناسخ والمنسوخ، وبغريب الحديث وإعراب القرآن، ومن جمع صنوفاً من العلم: أبو عبيد القاسم بن سلام، وكان مؤدّباً لم يكتب الناس أصح من كتبه، ولا أكثر فائدة». ينظر: طبقات النحويين واللغويين (ص ١٩٩). وينظر أيضاً لغير الجاحظ: سير أعلام النبلاء (٤٩٣/١٠، ٥٠١)، تذكرة الحفاظ (٤١٧/٤)، غاية النهاية (١٨/٢).

(٢) كقول هلال بن العلاء الرقي: «من الله على هذه الأمة بأربعة في زمانهم» فذكر الشافعي، وأحمد بن حنبل، ويحيى بن معين، ثم قال: «وبأبي عبيد فسر الغريب من حديث رسول الله ﷺ، لولا ذلك لأقحم الناس في الخطأ»، كذلك قال الذهبي عنه: «... وكان يجتهد ولا يُقلد أحداً، ويُذكر في طبقة الشافعي، وأحمد، وإسحاق، وكان هو أعلمهم بلغات العرب». تاريخ بغداد (٤١٠/١٢)، إنباء الرواة (١٨/٣)، سير أعلام النبلاء (٤٩٩/١٠)، معرفة القراء الكبار (١٤٤/١).

(٣) ينظر في ذلك: مقدمة تحقيق كتاب السلاح، للدكتور حاتم الضامن (ص ٧ - ٩)، مقدمة د. رمضان عبد التواب في تحقيق كتاب الغريب المصنف، لأبي عبيد (٩/١ - ٦٤)، مقدمة الأستاذ أحمد بن عبد الواحد الخياطي في تحقيق كتاب فضائل القرآن، لأبي عبيد (١٢٦/١ - ١٦٩)، رسالة جهود أبي عبيد القاسم بن سلام في علوم القراءات، للدكتور أحمد فارس السلوم (ص ٥٩ - ٧٨)، مقالة: مؤلفات العلامة أبي عبيد القاسم بن سلام الهروي، د. مروان العطيبة، موقع ملتقى الأدباء والمبدعين العرب على الشبكة العالمية www.almolltaqa.com.

(٤) ينظر: سير أعلام النبلاء (٥٠٤/١٠).

(٥) صدرت بتحقيق الشيخ محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله.

(٦) وهو من أشهر مؤلفاته، وقد تلقاه أئمة الحديث من أقرانه بالقبول، وسمعه منه الكثير، كالإمام أحمد بن حنبل، ويحيى ابن معين، وعلي بن المديني وغيرهم، وكان له الأثر العظيم فيمن صَنَّف بعده في غريب الحديث كالخطابي، والزحشمري، وابن الأثير، وغيرهم. ينظر: سير أعلام النبلاء (٤٩٦/١٠، ٤٩٧)، مقدمة تحقيق كتاب فضائل القرآن (١٤٥/١).

ومواعظ الأنبياء أو المواعظ^(١)، وكلاهما مطبوع^(٢).

وفي الفقه - الذي كان مجتهداً فيه^(٣) - صنّف: كتاب الأموال^(٤)، وكتاب الطهور، وكلاهما مطبوع^(٥). كذلك صنّف الأيمان والتذور، والحجر والتفليس، وفقه أبي عبيد، وكتاب الخيض، وأدب القاضي، والنكاح، وجميعها من كتبه الفقهية المفقودة.

أما في اللغة - التي كان أبو عبيد علماً في علومها، فاق بها أقرانه من المُحدّثين - فقد ترك العديد من المصنفات البديعة التي لاقت القبول لدى أهل الفن وغيرهم، فمن المطبوع منها: غريب المُصنّف^(٦)، والسلاح^(٧)،

(١) ينظر: سير أعلام النبلاء (٤٩١/١٠).

(٢) طُبِعَ «غريب الحديث» قديماً بالهند عام (١٣٨٤هـ) في أربعة مجلدات، ثم طبعه مجمع اللغة العربية بالقاهرة بتحقيق د. حسين محمد محمد شرف بين عامي (١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م)، وصدر في خمسة أجزاء كبيرة، إضافة لجزء سادس لفهارسه الفنية. أما كتاب المواعظ، فقد ذكر د. رمضان عبد التواب أنه حققه ونشره عام (١٩٨٦م)، عن طريق مكتبة الثقافة الدينية بالقاهرة. ينظر: مقدمة تحقيقه كتاب الغريب المصنف (٤٣/١).

(٣) وقد وصف الخطيب البغدادي منهجه الفقهي فقال: «وأما كتبه في الفقه، فإنه عمّد إلى مذهب مالك والشافعي فتقلّد أكثر ذلك، وأتى بشواهد وجمعه من حديثه وروايته، واحتجّ فيها باللغة والنحو، فحسنها بذلك». ينظر: تاريخ بغداد (٤٠٥/١٢)، السير (٤٩٤/١٠).

(٤) قال عنه الخطيب: «من أحسن ما صنّف في الفقه وأجوده». لكن إبراهيم الحربي يرى أنه أضعف كتبه، لعدم استيعابه أحاديث أبواب الكتاب. ينظر: تاريخ بغداد (٤١٣/١٢).

(٥) نشر حامد الفقي كتاب «الأموال» سنة (١٣٥٣هـ)، وأعيد طبعه بتحقيق محمد خليل الهراس في القاهرة سنة (١٣٨٨هـ) في مجلد. أما كتاب الطهور فقد طبع أكثر من طبعة، منها بتحقيق د. صالح الفهد المزيد، ونشرته مكتبة العلوم والحكم بالمدينة المنورة (١٤١٤هـ - ١٩٩٤م).

(٦) وهو معجم لغوي موسّع من معاجم المعاني، بلغ مبلغاً عظيماً في الجمع ودقّة المنهج، حتى قال عنه شمر بن حَمْدويه اللُّغوي: «ما لِعَرَبِ كتاب أحسن من مصنّف أبي عبيد»، وقد كان له أثر كبير فيما ألف بعده من معاجم اللغة، كجمهرة ابن دريد (ت: ٣٢٠هـ)، ومقاييس اللغة، ومجمل اللغة لابن فارس (ت: ٣٩٥هـ)، وصحاح الجوهري (ت: ٤٠٠هـ) وغيرها، بل منهم من اعتمد عليه أساساً كالأزهري (ت: ٣٧٠هـ) في تهذيب اللغة، وابن سيده (ت: ٤٥٨هـ) في المخصص. ينظر: إنباء الرواة (٢٢/٣) للقفطي، مقدمة د. رمضان عبد التواب في تحقيق كتاب الغريب المصنف، لأبي عبيد (١٥٩/١، ١٨٥ - ٢١٢).

وقد طبع بتحقيق د. رمضان عبد التواب، ونشرته مؤسسة مكتبة الثقافة، القاهرة (١٣٨٩م)، كما حققه د. محمد المختار العبيدي، ونشرته دار سنحون، تونس (١٩٨٨م)، كذلك صدر محققاً من قبل صفوان داودي.

(٧) وهو جزء من كتابه «غريب المصنف»، حققه د. حاتم الضامن، ونشرته مؤسسة الرسالة بيروت (١٤٠٥هـ).

والأمثال^(١)، وكتاب الأجناس من كلام العرب وما اشتبه في اللفظ واختلف في المعنى^(٢)، وفعل وأفعال، وهو مخطوط.

ومن كتبه المفقودة: المذكر والمؤنث، وما خالفت فيه العامّة لغات العرب، وكتاب الأمالي، وكتاب معاني الشعر، وكتاب الشعراء، وكتاب المقصور والمدود. ومما صنّف في غير ذلك من العلوم: كتاب النَّسَب^(٣)، وأنساب الخيل، وكتاب مقاتل الفرسان، وهما من كتبه المفقودة.

المطلب الثاني: جهود أبي عبيد وآثاره في علوم القرآن:

لا شك أن ما أوتيه أبو عبيد من سعة وتنوّع في علوم الشريعة واللغة أعطاه الآلة والمملكة المؤهّلة للتصنيف في مختلف علوم القرآن التي تتطلب مثل هذا التنوّع من العلوم، فكان - رحمه الله - جديراً بأن يكون رائد المتقدمين في علوم القرآن في القرنين الثاني والثالث، وذلك من خلال تأليفه النفيسة، وتصانيفه البديعة، التي نهل منها كل من كتّب في علوم القرآن بعده.

وحيث إن التأليف في علوم القرآن له طريقتان: التأليف المفرد في أحد علوم القرآن - الذي كان شائعاً القرنين الثاني والثالث ولا يعرف سواه -، والتأليف الجمعي الذي ظهر بعد ذلك، فإني سأبحث فيما إذا كان أبو عبيد سلك كلتا الطريقتين فيما يلي:

الطريقة الأولى: التأليف المفرد في أحد علوم القرآن:

سأذكر - بإيجاز - أبرز ما كتب أبو عبيد فيه، من خلال علوم القرآن الكبرى: القراءات وعلومها، التفسير وعلومه، تاريخ القرآن (نزوله وتوثيقه):

(١) وهو أيضاً من أشهر كتبه التي أتت على مثل بديع وترتيب جيّد، مما جعله مصدراً لمن كتب في الأمثال بعده كالليداني والزمخشري وغيرهما، وقد طبع بتحقيق د. عبد المجيد قطامش (١٩٨٠م). وينظر: مقدمة د. رمضان عبد التواب لتحقيق كتاب «الغريب المصنف» (٤٠١/١ - ٤٢).

(٢) طبع قديماً في بومباي، الهند، بتحقيق امتياز علي عرشي، عام (١٣٥٦هـ - ١٩٣٨م).

(٣) ذكر الشيخ بكر أبو زيد - رحمه الله - وجود مخطوطة له بمكتبة مغنيزيا بتركيا. ينظر: طبقات النسّابين (ص ٥٤).

أولاً: القراءات وعلومها:

تقدم أن أبا عبيد أخذ القراءة عرضاً على كبار أعلام قراء عصره، من القراء السبعة أو تلاميذهم ورواتهم، ومن غيرهم، وكان - رحمه الله - له اختيار خاص في القراءة جامع بين صحة النقل واتفق الرسم وقوة اللغة، حتى أثنى عليه أبو عمرو الداني، ووصفه بالتحريير والتبيين^(١). ومن مؤلفات أبي عبيد في هذه العلوم:

١. كتاب «القراءات»: وهو كتاب كبير في علم القراءات، أحصى فيه خمساً وعشرين قراءة، كان له فيه منهج خاص وجد القبول والاستحسان، مما جعل كثيراً من أهل العلم يصنّفه كأول مؤلف في علم القراءات، كابن الجزري الذي قال: «... فلما كانت المائة الثالثة واتسع الحرق وقَلَّ الضبط وكان علم الكتاب والسنة أوفر ما كان من ذلك العصر، تصدّى بعض الأئمة لضبط ما رواه من القراءات، فكان أول إمامٍ مُعْتَبَرٍ جمع القراءات في كتاب أبو عبيد القاسم بن سلام، وجعلهم فيما أحسب خمسةً وعشرين قارئاً...»^(٢).

وقد كان كتاب أبي عبيد في القراءات مشهوراً عند المتقدمين، حتى إن أبا جعفر النحاس (ت: ٣٣٨هـ) اعتمد عليه بكثرة؛ مُعَلِّلاً أنه أصلٌ من أصول القراءات في ذلك العصر^(٣).

(١) ينظر: جهود أبي عبيد القاسم بن سلام في علوم القراءات وتحقيق اختياره في القراءة، أحمد فارس السليم (ص ٢٩٩)، وقد ذكر سند هذه القراءة، وحاول جمع حروف أبي عبيد وقراءته ومنهجه (ص ٢٢٩ - ٣٢٣). أيضاً مما كُتِب في ذلك من رسائل جامعية: أطروحة للدكتوراه بعنوان «اختيارات الإمام أبي عبيد القاسم بن سلام ومنهجه في القراءة»، محمد موسى نصر (١٩٩٧م)، جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، السودان، ومثلها أطروحة للمجستير بعنوان: «اختيارات أبي عبيد القاسم بن سلام في القراءات: جمعاً ودراسة»، عبد الباقي بن عبد الرحمن سيس (١٤١٨هـ)، جامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض. ينظر: قاعدة بيانات أوعية المعلومات القرآنية - qu-ran-c.com على شبكة المعلومات.

(٢) ينظر: النشر (٣٣/١، ٣٤).

(٣) ينظر: مقدمة تحقيق إعراب القرآن (١/٥٢، ٥٣)، جهود أبي عبيد القاسم بن سلام في علوم القراءات، (ص ١٠٢). كذلك احتفى كثير من المفسرين بنقل اختياراته، كالثعلبي في تفسيره. الذي كان كتاب أبي عبيد أحد مصادرهم، أورد سنده إليه في مقدمته، ينظر: مقدمة الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تفسيره الثعلبي، تحقيق د. خالد بن عون العنزي (ص ١٢٩).

وقد ظهر أثر كتاب أبي عبيد فيمن ألف بعده في القراءات، كأبي بكر بن مجاهد (ت: ٣٢٤هـ)^(١)، وأبي عمرو الداني (ت: ٤٤٤هـ)^(٢) وغيرهما. ويُعدُّ هذا الكتاب مفقوداً، لكن نقل عنه كثير من أهل العلم^(٣).

٢. كتاب «عَدَد آيِ الْقُرْآن»: نَسَبَهُ إِلَيْهِ كَثِيرٌ مِنَ الْمُتَرْجِمِينَ لَهُ^(٤).

ومما اعتنى به أبو عبيد علم رسم المصحف، فقد تيسَّر له النَّظَرُ فِي الْمَصْحَفِ الْإِمَامِ وَوَصَفَ رَسْمَهُ، إِضَافَةً لِمَا تَلَقَّاهُ عَنْ مَشَائِخِهِ، وَيَبْدُو أَنَّهُ دَوَّنَ ذَلِكَ فِي كِتَابِهِ عَنِ الْقِرَاءَاتِ، إِذْ لَا يُعْلَمُ لَهُ كِتَاباً مَفْرَداً فِي الرَّسْمِ، وَقَدْ نَقَلَ عَنْهُ مَدُونَاتُهُ أَبُو عَمْرٍو الدَّانِي فِي كِتَابِهِ «الْمَقْنَع» كَمَا سَيَأْتِي^(٥).

ثانياً: التفسير وعلومه:

مما ألف أبو عبيد فيه:

٣. كتاب «الناسخ والمنسوخ»: من الكتب المشهورة عن أبي عبيد، وهو مطبوع^(٦)، وقد تَمَيَّزَ بِتَبْوِيهِهِ عَلَى أَبْوَابِ الْفِقْهِ خِلافَ مَا جَرَتْ عَادَةُ الْمُؤَلِّفِينَ فِي نَاسِخِ الْقُرْآنِ مِنَ التَّرْتِيبِ بِحَسَبِ آيَاتِ الْقُرْآنِ وَسُورِهِ، وَهِيَ طَرِيقَةٌ فَرِيدَةٌ يَبْدُو أَنَّهُ لَمْ يَجِدْ حَدْوَهُ فِيهَا أَحَدٌ مِنَ الْمُتَقَدِّمِينَ وَالْمُتَأَخِّرِينَ، كَمَا تَمَيَّزَ بِكَوْنِهِ كِتَابَ رِوَايَةٍ مُسْنَدٍ، إِضَافَةً إِلَى تَرْصِيعِ بَعْضِ جَوَانِبِهِ بِالْمُنَاقَشَةِ وَالرَّدِّ عَلَى الْمُخَالَفِينَ وَاسْتِنْبَاطِ الْأَحْكَامِ، وَالْجَمْعِ بَيْنَ النُّصُوصِ الَّتِي ظَاهَرَهَا التَّعَارُضُ، وَغَيْرِهِ؛ مِمَّا يَشْهَدُ بِعُلُوِّ كَعْبٍ مُؤَلِّفِهِ فِي بَابِ الْأَحْكَامِ وَالِاسْتِنْبَاطِ وَالرِّوَايَةِ، وَهُوَ مِنَ الْكُتُبِ الْمَعْتَبَرَةِ فِي هَذَا الْبَابِ لِمَنْ أَلَّفَ بَعْدَهُ^(٧).

(١) ينظر: المرجع السابق (ص ٢٠٢).

(٢) المرجع السابق (ص ٢٠٣).

(٣) المرجع السابق (ص ٩٣). وقد حاول جمعه جاسم الحاج جاسم محمد الدليبي من خلال تلك النقولات، وصدر مؤخراً عن ديوان الوقف السني بالعراق عام (١٤٢٨هـ) بعنوان «كتاب القراءات لأبي عبيد القاسم بن سلام».

(٤) كابن النديم في الفهرست (ص ١٠٦)، والقفطي في إنباه الرواة (٢٢/٣)، وابن خلكان في وفيات الأعيان (١٠٠/٥) وغيرهم. وذكر د. رمضان عبد التواب، أن منه مخطوطة في جامع الزيتونة بتونس - فيما يُظن - برقم (٤١٣) في (١١) ورقة. ينظر: مقدمة تحقيق الغريب المصنف (٤٤/١).

(٥) للاستزادة ينظر: جهود أبي عبيد القاسم بن سلام في علوم القراءات.

(٦) بتحقيق محمد صالح المديفر، نشرته مكتبة الرشد بعنوان «الناسخ والمنسوخ في القرآن العزيز وما فيه من الفرائض والسنن».

(٧) ينظر: مقدمة تحقيق الكتاب (ص ٤٦ - ٥٠).

٤. كتاب «معاني القرآن»: وهو أحد مصادر الأزهري (ت: ٣٧٠هـ) في معجمه «تهذيب اللغة»^(١)، والشعبي (ت: ٤٢٧هـ) في تفسيره^(٢)، ومما يُؤسَف له أنه من الكتب المفقودة، وقد وصفه ابن درستويه النحوي في معرض ذكره لأبي عبيد ومصنفاته فقال: «... وكتابه في معاني القرآن، وذلك أن أول من صنّف في ذلك من أهل اللغة أبو عبيدة مَعَمَر بن المثنى، ثم فَطْرُب بن المستنير، ثم الأخفش، وصنّف من الكوفيين الفراء، فجمع أبو عبيد من كتبهم، وجاء فيه بالآثار وأسانيدها، وتفاسير الصحابة والتابعين والفقهاء، وروى التّصّف منه، ومات قبل أن يُسَمع منه باقيه»^(٣). وهذا وصفٌ نفيسٌ لمضمون الكتاب، يُلَفِت النظر إلى أن أبا عبيد قد يكون أول من جمع بين منهج السلف ومنهج اللُّغويين في التفسير، فكان مناراً وإماماً لابن جرير الطبري الذي يُنسب إليه هذا المنهج، والله أعلم^(٤).

٥. غريب القرآن: ذكره كثير من المترجمين له، وهو كتاب مفقود^(٥).

٦. كتاب شواهد القرآن: ذكره ابن خير الإشبيلي (ت: ٥٧٥هـ) في فهرسة ما رواه عن شيوخه^(٦)، كما أشار إليه السيوطي في مصادر تفسيره «الدر المنثور»، وهو كتاب مفقود^(٧).

(١) وقد أورد سنده إلى هذا الكتاب. ينظر: تهذيب اللغة (٢٠/١).

(٢) أيضاً أورد سنده إلى هذا الكتاب. ينظر: مقدمة الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تفسير الشعبي، تحقيق د. خالد بن عون العنزي (ص ١١٣).

(٣) تاريخ بغداد (٤٠٤/١٢).

(٤) مما يحسن ملاحظته أن ابن جرير الطبري ولد عام وفاة أبي عبيد (٢٤٢هـ).

(٥) كابن النديم في الفهرست (ص ١٠٦)، والقفطي في إنباه الرواة (٢٢/٣)، وغيرهما. وينظر: مقدمة تحقيق كتاب فضائل القرآن (١٣٧/١ - ١٣٢).

(٦) (ص ٦٣). كما ذكره ابن نقطة في ثبت مسموعات أبي علي بن الحداد من أبي نعيم. ينظر: سير أعلام النبلاء (٣٠٦/١٩).

(٧) ينظر: مقدمة تفسير الدر المنثور للسيوطي بين المخطوط والمطبوع، د. حازم سعيد حيدر (ص ٢٥٥)، مجلة الدراسات والبحوث القرآنية (١٤) (١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م)، ويُنبّه أن د. حازم أوردته مثلاً فيما يذكره السيوطي من المؤلفات في مقدمة «الدر المنثور» ثم لا ينقل عنه تصريحاً (ص ٢٤٩).

٧. فضائل القرآن: وهو كتاب مطبوع^(١)، وأدرجته هنا بحسب ما اشتهر من تصنيفه ضمن كتب الفضائل^(٢).

ثالثاً: تاريخ القرآن (نزوله وتوثيقه):

بما أن معظم الأنواع المندرجة تحته عبارة عن مسائل مفردة تحكي جوانب تاريخية للقرآن يدور أغلبها حول نزوله وتوثيقه، كالوحي، وكيفية نزول القرآن، وأول ما نزل وآخر ما نزل، وجمع القرآن، وليست علوماً مستقلة يمكن التأليف فيها استقلالاً من جانب تطبيقي على سور القرآن وآياته - إلا ما كان ذا صلة بالقسمين السابقين كأسباب النزول ورسم المصحف، فإني أرى أن هذا القسم يؤول إلى طريقة التصنيف الجامع في علوم القرآن.

الطريقة الثانية: التصنيف الجامع في علوم القرآن:

وهي الطريقة المقصودة في الكتب التي عرفت بمصطلح «علوم القرآن»، وذكرنا من قبل الخلاف في أول من صنّف في هذا العلم بهذه الطريقة، وسوف أناقش مدى إمكان إدراج كتاب «فضائل القرآن» لأبي عبيد ضمن هذه الطريقة في التصنيف، وبالتالي: هل يمكن أن يكون أول مؤلّف في «علوم القرآن»؟ وعليه: هل أبو عبيد القاسم بن سلام أول من ألف في «علوم القرآن»؟

هذا ما سأحاول الإجابة عنه في المبحث التالي مستمداً العون من الله.

(١) عدة طبعات، وقد صدرت أول طبعة له - حسب علمي - عام (١٤١١هـ) بتحقيق وهي سليمان غاوي نشر دار الكتب العلمية ببيروت في (٢٨١) صفحة، مع أنه حققه الطالب تجاني جوهر في رسالة ماجستير بكلية الشريعة بمكة عام (١٣٩٩هـ) بإشراف د. مصطفى الأعظمي، لكن لم يطبع - فيما أعلم -، كما حققه الأستاذ عبد الواحد الخياطي في رسالة جامعية بدار الحديث الحسنية بالمغرب بإشراف د. التهامي الراجي الهاشمي عام (١٩٨٨م) ثم نشرته وزارة الأوقاف المغربية عام (١٤١٥هـ) في مجلدين، كذلك حققه كل من مروان العطية، ومحسن خرابة، ووفاء تقي الدين، ونشرته دار ابن كثير بدمشق عام (١٤١٥هـ-١٩٩٥م) في (٤٧٨) صفحة. ينظر: قاعدة بيانات أوعية المعلومات القرآنية quran-c.com، وذكر د. رمضان عبد التواب أنه حققه بالاشتراك وأعدّه للنشر. ينظر: مقدمة تحقيق الغريب المصنف (٥٢/١).

(٢) ومما يحسن التنبيه له خطأ نسبة «كتاب لغات القبائل» لأبي عبيد القاسم بن سلام، فقد تبين أنه لشخص آخر يكنى أبا عبيد أيضاً، وهم الشيخ نصر الهوريني مصحح نسخة كتاب «الإتقان في علوم القرآن» للسيوطي، التي طبعت بالمطبعة الكلاسيكية، سنة (١٢٧٩هـ) فنسبه للقاسم بن سلام - وتابعه على ذلك الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم، في نشرته للإتقان بالقاهرة، سنة (١٩٦٧م) - وقد طبع كتاب اللغات بهامش كتاب «التيسير في التفسير» للديري (ت: ١٩٤هـ) عام (١٣١٠هـ) منسوباً إلى القاسم بن سلام بناء على ذلك الوهم. ينظر ذلك مفصلاً في مقدمة د. رمضان عبد التواب لتحقيق كتاب «الغريب المصنف» لأبي عبيد (٥٩/١ - ٦٣).

المبحث الثاني

أولية أبي عبيد القاسم بن سلام في التأليف في «علوم القرآن»

المطلب الأول: أيصنف كتاب «فضائل القرآن» لأبي عبيد ضمن كتب «علوم القرآن» المفردة أم الجامعة؟

اشتهر كتاب أبي عبيد بعنوان «فضائل القرآن»، وجرت عادة المتقدمين والمتأخرين بإطلاق هذا العنوان عليه^(١)، وقد طبع به عدة طبعات^(٢)، والناظر إلى هذا العنوان يصنف الكتاب الموسوم به ضمن كتب علوم القرآن المفردة في علم «فضائل القرآن»؛ إلا أن عنوان الكتاب الدقيق - إضافة إلى مضمونه - أوسع من ذلك بكثير؛ فعنوان الكتاب المثبت في أكثر مخطوطاته هو «فضائل القرآن ومعالمه وآدابه»^(٣).

أما مضمونه فقد قسم أبو عبيد الكتاب إلى أقسام، هي المحاور الرئيسة التي دار عليها العنوان الدقيق، فأورد تمهيداً^(٤) وأربعة أبواب كبرى، تضمنت جميعها سبعين باباً، ذكر في التمهيد آثراً عن فضل القرآن عموماً وفضل تعلمه وتعليمه وتلاوته (٢٣٥/١ - ٢٨٦)، ثم أعقبها بالأبواب الكبرى التي سماها كما يلي:

١. جملة أبواب قراء القرآن ونعوتهم وأخلاقهم (٢٨٧/١ - ٣٧٦، ٣/٢ - ١٥).
٢. جماع أبواب سور القرآن وآياته وما فيها من الفضائل (١٧/٢ - ٩٠).

(١) أو «فضائل أبي عبيد» اختصاراً.

(٢) سوى الطبعة التي حققها الأستاذ عبد الواحد الخياطي، فقد أحسن حين صدر عنوانه كاملاً على غلافه، فأبرز بذلك مضمون الكتاب، بخلاف الطبقات الأخرى، وسوف أعتمد على هذه الطبعة في العزو إلى الكتاب.

(٣) أو «أدبه»، ظهر ذلك في مخطوطتين من المخطوطات الثلاث التي اعتمد عليها الأستاذ عبد الواحد الخياطي في مقدمة تحقيقه للكتاب (٢١٧/١ - ٢١٩)، وذكر د. رمضان عبد التواب أن للكتاب مخطوطة معنون فيها بـ «كتاب جامع أحاديث القرآن، وأنبائه في كتابه وتأليفه وإفادته حروفه، وفضائل تلاوته، وصفاته من أدبه» في المكتبة العامة بالرباط (٨٤ ورقة) منسوخة في القرن الرابع الهجري. ينظر: مقدمة تحقيق الغريب المصنف (٥٢/١). وهو عنوان دقيق شامل لمضمون الكتاب، لكن لم أجد من أشار إلى هذه المخطوطة ممن حقق الكتاب.

(٤) يُنبه على أن أبا عبيد لم يصنف ذلك بأنه تمهيد، وإنما سرد أبواباً في بداية كتابه قبل ذكر الأبواب الكبرى دون تسمية، ورأيت أنها أشبه بالتمهيد للكتاب.

٣. جماع أحاديث القرآن وإثباته في كتابه وتأليفه وإقامة حروفه^(١) (٩١/٢ - ٢٢٥).
٤. جماع أبواب المصاحف وما جاء فيها مما يؤمر ويُنهى (٢٢٦/٢ - ٤٤٠).
- هذا التمهيد والأبواب الأربعة تؤول في النهاية إلى مدلول العنوان^(٢):
- ◀ فالأول عن الآداب (يشمل الأبواب ٩ - ٣١ + ٧٠ = ما يقارب ١٤٤ صفحة).
- ◀ والثاني عن الفضائل، (يشمل الأبواب ١ - ٨ + ٣٢ - ٤٩ + ٦٣ = ما يقارب ١٢٥ صفحة).
- ◀ والثالث والرابع عن المعالم (يشمل الأبواب ٥٠ - ٧٠ عدا ٦٣ و ٧٠ ما يقارب ١٣١ صفحة)^(٣). وكل بابٍ من هذا المحوّر (أو معلّم من هذه المعالم) يؤول إلى نوعٍ من علوم القرآن، وإليك تفصيل ذلك^(٤):

عنوان الباب في كتاب الفضائل	الصفحة	أنواع علوم القرآن الذي ينتمي إليها
باب تأليف القرآن وجمعه، ومواضع حروفه وسوره.	٩١/٢	جمع القرآن (ضمّنه أيضاً آثاراً عديدةً في علم رسم القرآن)
باب الزوائد من الحروف التي خولف بها الخط في القرآن.	١٠٥/٢	القراءات الشاذة (ضمّنه أيضاً آثاراً في علم توجيه القراءات)
باب ذكر ما رُفِع من القرآن بعد نزوله ولم يُنَبِّت في المصاحف.	١٤٦/٢	منسوخ التلاوة (الناسخ والمنسوخ)
حروف القرآن التي اختلفت فيها مصاحف أهل الحجاز وأهل العراق.	١٥٦/٢	رسم المصاحف

- (١) يلاحظ أن كلمة جماع هنا دالة على الموضوع الذي تجمّع فيه تلك العلوم، وهو عين المراد من علم (علوم القرآن).
- (٢) ينظر دراسة محقق الكتاب (ص ٢٠٦ - ٢١٦).
- (٣) إذن الكتاب ثلاثة أثلاث متقاربة، لكن يلاحظ أن أبواب الفضائل - التي اشتهر الكتاب بها - أقل في عدد الصفحات من غيرها، قد لا تتجاوز (٣١٪) من حجم الكتاب! وهذا يؤيّد عدم دقة تصنيف الكتاب ضمن كتب الفضائل فحسب.
- (٤) ما أذكره من العلوم التي تدرج تحتها الأبواب هو ما ظهر لي، وهو أمر قابل للنقاش. وسيأتي في المطلب التالي بيان كيف استفاد من كتب في علوم القرآن من هذه الأبواب، والعلوم التي ضمّنها تلك الإفادات؟

عنوان الباب في كتاب الفضائل	الصفحة	أنواع علوم القرآن الذي ينتمي إليها
باب لغات القرآن وأبي العرب أنزل القرآن بلغته.	١٦٣/٢	لغات القرآن (وفيه شيء عن الأحرف السبعة)
باب إعراب القرآن ^(١) والكلام وما يُستحب للقارئ من ذلك وما يؤمر به.	١٧٧/٢	أصول التفسير (ضمّنه أيضاً آثاراً في علم الأداء والتجويد، وأصول إعراب القرآن)
باب المراء في القرآن والاختلاف في وجوهه وما في ذلك من التغليظ والكرهية.	١٨١/٢	آداب التلاوة
باب عرض القراءة للقرآن وما يُستحب لهم من أخذه عن أهل القراءة، وأتباع السلف فيها لتمسك بما تعلم منها.	١٨٨/٢	آداب التلاوة
باب منازل القرآن بمكة والمدينة، وذكر أوائله، وأواخره.	١٩٧/٢	المكي والمدني كيفية نزول القرآن أول ما نزل آخر ما نزل
باب ذكر قراء القرآن ومن كانت القراءة تؤخذ من الصحابة والتابعين.	٢٠٦/٢	طبقات القراء
باب تأويل القرآن بالرأي وما في ذلك من الكراهة والتغليظ.	٢١١/٢	أصول التفسير
باب كتمان قراءة القرآن وما يكره من ذكر ذلك وستره ونشره.	٢١٥/٢	آداب التلاوة
باب الاسترقاء بالقرآن وما يكتب منه ويتعلق للاستشفاء به	٢١٩/٢	خصائص القرآن (أو خواص القرآن)
باب بيع المصاحف وشرائها وما جاء في الرخصة والكرهية.	٢٢٦/٢	أحكام المصحف الفقهية

(١) المراد بذلك معرفة معاني ألفاظه كما ذكر السيوطي في الإتيان (٧٣٠/٣).

عنوان الباب في كتاب الفضائل	الصفحة	أنواع علوم القرآن الذي ينتمي إليها
باب نقط المصاحف وما فيه من الرخصة والكرهية.	٢٣٠/٢	ضبط المصحف
باب تعشير المصاحف، وفواتح السور ورؤوس الآي.	٢٣٢/٢	عَدُّ الآي تجزئة (تجزيب) المصحف
باب تزيين المصاحف وحليتها بالذهب والفضة.	٢٣٤/٢	أحكام المصحف الفقهية
باب كتابة المصاحف وما يستحب من عظيمها ويكره من صغرها.	٢٣٦/٢	أحكام المصحف الفقهية (آداب خط المصحف)
باب المصحف يمسه المشرك أو المسلم الذي ليس بطاهر	٢٣٩/٢	أحكام المصحف الفقهية (آداب التلاوة)

فهذه عشرون نوعاً من أنواع علوم القرآن أو تزيد، إضافة إلى العِلْمَيْنِ اللَّذَيْنِ فَصَّلَ فيهما، وهما فضائل القرآن، وآداب تلاوته، جميعها ذُكِرَتْ في هذا الكتاب، وكُلُّها من أنواع علوم القرآن الصريحة العناوين التي هي من صميم هذا العلم. كل ذلك يدل على أن موضوع الكتاب أوسع من فضائل القرآن، ويُنْبِتُ أنه في «علوم القرآن» بمعناه الاصطلاحي الجامع، مما يستلزم تصنيفه ضمن كُتُبِهِ.

المطلب الثاني: هل يمكن أن يُعَدَّ كتاب «فضائل القرآن» لأبي عبيد أول مؤلَّف في «علوم القرآن»؟

تقدّم أن أقدم ما قيل إنه أول مؤلَّف في «علوم القرآن» بمعناه الجمعي هو كتاب «فهم القرآن» للحارث المحاسبي (ت: ٢٤٣هـ)؛ لكنني في هذه الدراسة سوف أنقض هذا الرأي؛ وأثبت أن كتاب «فضائل القرآن ومعالمه وآدابه» لأبي عبيد القاسم بن سلام (ت: ٢٢٤هـ) أولى منه بتلك المكانة، وذلك لِسِمَاتٍ بارزة اتَّسَمَ بها، ومعالم عديدة تُمَيِّزُه، لم تتفق في كتاب الحارث المحاسبي، بل لم تتميز بها كثير من كتب علوم القرآن، ويمكن تقرير ذلك إجمالاً - موازنة بكتاب «فهم القرآن» - بما يلي:

١. تَقَدَّمَ مؤلفه أبي عُبَيْدِ القاسم بن سَلَام (ت: ٢٢٤هـ)، إذ يُعَدُّ في طبقة كبار الآخذين عن تبع الأتباع^(١)، بل هو شيخ الحارث المحاسبي^(٢) وشيخ أقرانه، هذا إضافة إلى مكانته العلمية الكبيرة في علوم الشريعة عموماً، وعلوم القرآن خصوصاً^(٣)، بحيث يمكن القول بأنه رائد المتقدمين في علوم القرآن إماماً وتالياً، ولم يُضاهِهِ أحد منهم في الجمع بين الأمرين، وقد تقدم بيان ذلك مفصلاً في المبحث الأول، وأحسب أن هذا لا يتفق في الحارث المحاسبي رحمه الله.

٢. تعدد علوم القرآن المذكورة في كتابه، مما يثبت تصنيفه ضمن كتب علوم القرآن الجامعة لا المفردة. كما تقدم بيانه في المطلب السابق.

أما ما ذكره الحارث المحاسبي في «فهم القرآن» فلا يتجاوز بضعة علوم، لا يَنْظُمُها ترتيب ظاهر، عبر صفحات متفاوتة الحجم^(٤)، ولعل لهدف تأليف الكتاب والباحث على تدوينه دوراً في ذلك.

(١) ينظر: تقريب التهذيب (ص ٤٥٠).

(٢) أخذ الحارث عنه علوم القرآن واللغة. ينظر: ترجمته لدى محقق كتابيه العقل وفهم القرآن (ص ١٧)، وقد روى عنه في كتاب «فهم القرآن» عدداً من الروايات، منها: (ص ٣٢٦، ٣٢٧، ٤٠٦).

(٣) وقد تقدم بيانه في المبحث الأول.

(٤) لخصها د. حازم سعيد حيدر في سبعة أقسام هي:

القسم الأول: فضائل القرآن من الآيات والأحاديث مع ذكر فضائل القراء ومن حفظ القرآن (ص ٣٠٢ - ٣٢٤).

القسم الثاني: فقه القرآن، ذكر سبل فهمه وطرائقه (٣٠٢ - ٣٢٤).

القسم الثالث: المحكم والمتشابه (٣٢٥ - ٣٣١).

القسم الرابع: ما لا يجوز النسخ وما يجوز فيه (٣٣٢ - ٣٦٩).

القسم الخامس: مع المعتزلة دفاعات والزامات: ناقش فيه المعتزلة في النسخ والنسوخ، وفي بعض أصولهم كالتوحيد والوعد والوعيد (٣٧٠ - ٣٩٣).

القسم السادس: ذكر فيه النسخ والنسوخ من الأحكام، كما ذكر المكي والمدني من السور (ص ٣٩٤ - ٤٧٥).

القسم السابع: أساليب القرآن: ذكر فيه التقديم والتأخير والإضمار والحروف الزوائد والمفضل والموصول (٤٧٦ - ٥٠٢).

ينظر: علوم القرآن بين البرهان والإتقان (ص ٩٣ - ٩٥).

كذلك بالموازنة مع كتب علوم القرآن الأخرى ربما يفوق ما أوردّه أبو عبّيد من أنواع علوم القرآن ما ورد في بعض تلك الكتب^(١)، وتميز عنها جميعاً بإيراد آثاره مسندةً أساسيد عالية؛ لا يماثله في ذلك كتاب آخر من علوم القرآن، مما جعله مصدراً أصيلاً للكتب التي أُلّفت في هذه الأنواع من علوم القرآن وغيرها، كما سيأتي في المطلب التالي^(٢).

وتكفي هاتان الميزتان للحكم بأن كتاب فضائل أبي عبّيد أول مؤلّف في «علوم القرآن»! فكيف إذا انضم لذلك ميزات أخرى؟!

٣. تميّز عنوانه بوجود لفظ مقارب لَلقَب «علوم القرآن» الاصطلاحي من خلال كلمة (معالمه).

٤. المقصود من تأليف الكتاب أصالةً.

٥. أثره في كتب علوم القرآن اللاحقة؛ المفردة منها والجامعة.

ولعلي أفضل هذه الميزات والشواهد والأدلة فيما يلي - مرجئاً الميزة الأخيرة إلى المطلب التالي - كما فصلت الميزتين الأوليين في المطالب السابقة.

• هل استعمال أبي عبّيد لكلمة «معالم» في عنوان كتابه محاولة إيجاد مصطلح مقارب لمصطلح «علوم القرآن»؟

يلاحظ في عنوان الكتاب أن أبا عبّيد سمى ما سوى الفضائل والآداب بالمعالم، فهل يمكن أن يكون هذا المسمى مرادفاً لمصطلح «علوم القرآن» عند أبي عبّيد؟

لعلنا نحاول أن نبحث في أصل هذه الكلمة لنصل إلى مراد أبي عبّيد منها في هذه التسمية، فنقول: معالم جمع مَعْلَم، وأصل هذه الكلمة كما قال ابن فارس: «العين واللام

(١) بلغت علوم القرآن المذكورة في «فنون الأفتان» لابن الجوزي (ت: ٥٩٧هـ) (٢١) نوعاً، وفي «جمال القراء» لعلم الدين السخاوي (ت: ٦٤٣هـ) (٢٠) نوعاً، وفي «المرشد الوجيز» لأبي شامة المقدسي (ت: ٦٦٥هـ) (٨) أنواع فقط. ينظر: علوم القرآن بين البرهان والإتقان (ص ٧٩ - ١٠٣).

(٢) نعم لم يكن كتاب أبي عبّيد في التفصيل والتوسع والاستطراد والترتيب وحشد المسائل مثل هذه الكتب؛ لأنه في بداية مرحلة التدوين، ومن الطبيعي أن تكون بدايات التدوين في العلوم على هذه الشاكلة من الاقتضاب وعدم التوسع.

والميم أصل صحيح واحد، يدلُّ على أثرٍ بالشيء يتميِّزُ به عن غيره»^(١)، وفي اللسان: «... مَعْلَمُ الطريق: دلالته، وكذلك مَعْلَمُ الدِّينِ على المثل. ومَعْلَمُ كُلِّ شيءٍ: مِظَنَّتُهُ. والمَعْلَمُ: الأثرُ يُسْتَدَلُّ به على الطريق، وجمعه المَعَالِمُ. والمَعْلَمُ: ما جُعِلَ عَلامَةً وَعَلَمًا لِلطَّرْقِ والحدود مثل أعلام الحَرَمِ ومعالِمِهِ المضروبة عليه، وقيل: المَعْلَمُ الأثر»^(٢).

إذن كلمة «معالم» - لغةً - تدل على آثار الشيء، ودلائله، وعلاماته، التي تميزه عن غيره. وهذه المعاني يمكن إطلاقها على علوم القرآن بمعناه الاصطلاحي، فعلم القرآن من آثاره؛ لأنها نابعة منه، كذلك هي من علاماته الدالة عليه، وخصائصه المميزة له التي لا تجتمع في أي كتاب آخر، كذلك هي من دلائل القرآن الدالة على إعجازه وأنه تنزيلٌ من حكيمٍ حميد، والعنونة بهذا اللفظ ليس بدعاً من أبي عبيد في هذا الكتاب! فقد عَنَوَنَ لكتابه الإيمان بـ «كتاب الإيمان ومعلمه وسننه واستكمالته ودرجاته»، والمعنى اللغوي السابق ظاهر فيه أيضاً، ونجد غيره من عَنَوَنَ لكتابه بذلك اللفظ، كالحطّابي (ت: ٣٨٨هـ) في شرحه على سنن أبي داود سماه «معالم السنن»، بل إن البغوي (ت: ٥١٦هـ) عَنَوَنَ لتفسيره المشهور بـ «معالم التنزيل»، وكل هذه العناوين لها نصيب من المعاني اللغوية الأنفة الذكر.

من هنا يمكن القول أن أبا عبيد حاول إطلاق مسمى شاملٍ على جملة علوم القرآن التي صار مصطلحها المشهور ومسامها العلمي اللَّقْبِي بعد ذلك عند المتأخرين هو «علوم القرآن» - لكن يبدو أنه انفرد به، ولم يتابعه أحدٌ عليه! - وأن هذا المسمى له نصيبٌ من المعنى الاصطلاحي، وقد يكون مرادفاً له، ولم يتنبه له من تتبع تاريخ هذا العلم، وعليه تكون له أَوْلِيَّةٌ في محاولة إيجاد مصطلح لجملة علوم القرآن - وإن لم يُعرف ويُشتهر - كما له أَوْلِيَّةٌ في التأليف فيها، والله أعلم.

إذن من خلال هذه اللفتة تتجلى لنا ميزة أخرى تميِّز بها كتاب أبي عبيد على كتب علوم القرآن الأخرى التي لم تتقلد المسمى الاصطلاحي، ومنها كتاب «فهم القرآن» للحارث المحاسبي.

(١) معجم مقاييس اللغة (ع ل م).

(٢) لسان العرب (ع ل م) بتصرف يسير.

• المقصود من تأليف الكتاب أصالة:

لم يُورد أبو عبيد مقدّمةً لكتابه تكشف لنا أسباب وُضِعَ، وتُجَيِّ مراده منه^(١)؛ لكن الناظر له يجد أنه أودع فيه أهم أنواع علوم القرآن المتعلقة بقسمين من أقسامه الثلاثة الرئيسة، وهما ما يتعلق بتلاوة القرآن (علوم الأداء والتلاوة)، وما يتعلق بتاريخه (علوم نزوله وتوثيقه)^(٢)، مع توسعه في فضائل القرآن وآداب تلاوته، فالكتاب - إذن - موضوعٌ ومؤلَّفٌ في علوم القرآن أصالةً، وكان أبو عبيد - رحمه الله - أراد أن يَخُصَّ من يتعلم القرآن ويُعلِّمه ويتلوه بهذا المصنّف؛ ليُبَيِّن له فضائل تلاوته وآدابه وما ينبغي أن يُلمَّ به من علوم نزوله وتوثيقه، أو كأنه يريد أن يقول له: إني سأذكر لك بعض أنواع المعارف القرآنية التي يحتاج إليها من ألَّفْتُ له هذا الكتاب أصلاً، مما لا يَسَعُه جهلها... أو سأذكر لك بعضاً من علومه التي تدلُّك على ما فيه من المعارف وتلّفيت عنايتك لها، وإلا فهي إشاراتٌ فَحَسَبَ، وَمَنْ وَصَلَهُ ورشف من علومه فستنكشف له أخرى.

أما كتاب «فهم القرآن» للحارث المحاسبي، فالظاهر أن هدف وُضِعَ هو الرد على المبتدعة، ولاسيما المعتزلة^(٣)، والناظر في الكتاب ومنهجه وترتيبه يتبيّن له بعض ذلك، والله أعلم.

المطلب الثالث: أثر كتاب (فضائل القرآن) لأبي عبيد في كتب علوم القرآن:

الناظر في مصنّفات علوم القرآن التي ألَّفَتْ بعد أبي عبيد يجد أنها أفادت كثيراً من كتاب فضائل أبي عبيد، ونقلت رواياته وآراءه الماثورة فيه، واستفادت من جمعه وترتيبه، وذلك في مختلف علوم القرآن، ويصعب حَصْر مثل تلك الكتب، لكن حَسْبُنَا أن نمثل ببعض أمهات كتب علوم القرآن المفردة والجامعة التي أفادت من كتاب أبي عبيد في غير موضوع فضائل القرآن وآدابه؛ لَتَقَفَ على أثر كتابه في كتب علوم القرآن الأخرى، ويتقرر لنا طرفٌ آخر في كونه كتاباً جامعاً لعلوم القرآن، وأنَّ له أثراً فيمن ألَّفَ بعده في علوم القرآن لا يضاھيه أثر كتاب آخر للمتقدمين.

(١) ويبدو أنها طريقة أبي عبيد في جميع كتبه، حيث لم أجد مثل ذلك فيما اطلعت عليه منها، وقد يكون هذا منهج أغلب المتقدمين في بداية عصر التدوين.

(٢) والقسم الثالث: الأنواع المتعلقة بتفسيره، وهو أكبرها وأوسعها كما تقدمت الإشارة إلى ذلك.

(٣) وقد قرّر ذلك محقق الكتاب في مقدمته، كما عدّ الكتاب من أهم الكتب في تاريخ التصوف الإسلامي، والفكر الإسلامي بشكل عام، (ص ٢٤١).

فأبدأ ببعض أشهر كتب علوم القرآن المفردة، ثم أثنِّي بأهم كتبه الجامعة:

أولاً: كتب علوم القرآن المفردة:

١. التفسير: من أشهر كتب التفسير المأثور «الدر المنثور في التفسير بالمأثور» للسيوطي (ت: ٩١١هـ)، وقد اشترط فيه ألا ينقل إلا من كتاب مُسند، فكان كتاب أبي عبيد على شرطه، وقد أفاد منه كثيراً في مختلف العلوم وليس في الفضائل فحسب^(١)، حتى إنه - لكثرة ما أفاد منه - غالباً ما يعزو التخريج إلى أبي عبيد دون ذكر عنوان الكتاب، بخلاف كُتبه الأخرى فإنه يقيدها بعناوينها^(٢).

٢. أصول التفسير: من أشهر وأقدم من كتب فيه شيخ الإسلام ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) في مُقدمته، وقد نقل عن أبي عبيد - بإسناده - مواضع من «باب تأول القرآن بالرأي، وما في ذلك من الكراهة والتغليظ»، وذلك تحت المسألة التي عقدها في تفسير القرآن بالرأي^(٣).

٣. علم «رسم المصحف»: من أشهر ما ألف فيه كتاب «المقنع في مرسوم أهل الأمصار» لأبي عمرو الداني (ت: ٤٤٤هـ)، وقد أفاد من كتاب أبي عبيد، من خلال الأبواب المتعلقة بعلم رسم المصحف مثل: باب «تأليف القرآن وجمعه ومواضع حروفه وسوره»، وباب «حروف القرآن التي اختلفت فيها مصاحف أهل الحجاز وأهل العراق». فمن تلك المواضع في «المقنع»:

◀ باب ذُكر من جمع القرآن في الصُحف أولاً، ومن أدخله بين اللوحين، ومن كتبه من الصحابة، وعلى كم نسخة جُعِل؟ وأين وُجّه بكلّ نسخة؟ والسبب في ذلك^(٤).

(١) من ذلك في (ج) ١٧٧/١، ١٧٨، ٤٣٧، ٤٤٥ - ٥٤٨، ٥٥١ - ٥٧٧)، ومن الفضائل وغيرها: (٢٨/١، ٣٠، ٣١، ٣٨، ٨٢، ١٠٣) ونقل مع الأثر تحرير أبي عبيد لمعنى الأثر، وهذا من النادر جداً عند السيوطي في «الدر المنثور» أن ينقل آراء أصحاب المصادر.

(٢) وما يجدر ذكره أن نقولات السيوطي عن كتاب أبي عبيد في «الدر المنثور» هي التي لفتت نظري إلى تنوع كتاب أبي عبيد في مختلف علوم القرآن، وساقنتني إلى هذا البحث وهذه النتيجة.

(٣) ينظر: مقدمة في أصول التفسير (ص ٥٣ - ٥٥، ٥٧).

(٤) المقنع (ص ٣، ٥، ٨).

- ◀ باب ذُكر ما رُسم في المصاحف بالحذف والإثبات^(١).
- ◀ باب ذُكر ما اختلفت فيه مصاحف أهل الحجاز والعراق والشام. وقد أتى على كل ما أورده أبو عبيد في هذا الباب تقريباً^(٢).
- ٤. علم «عد آي القرآن»: من أشهر ما أُلّف فيه كتاب «البيان في عدّ آي القرآن» لأبي عمرو الداني (ت: ٤٤٤هـ) أيضاً، وقد أفاد من كتاب أبي عبيد في مواضع عديدة، من ذلك:
 - ◀ باب ذكر السنن والآثار التي فيها ذكر الآي^(٣).
 - ◀ باب ذُكر ما جاء في تعشير المصاحف وتخميسها ورسم فواتح السور ورؤوس الآي ومن كره ذلك ومن ترخّص فيه من العلماء^(٤).
 - ◀ باب ذُكر المكي والمدني من القرآن^(٥). وغيرها من المواضع^(٦).

ثانياً: كتب علوم القرآن الجامعة:

أغلب كتب القرآن الجامعة أفادت من كتاب أبي عبيد في مختلف العلوم، وسوف أكتفي بذكر ما أفاد عنه - في غير الفضائل - أشهر كتابين في علوم القرآن، وهما برهان الزركشي وإتقان السيوطي؛ ليتبين لنا مدى أثره فيهما، وسوف أفصل ذلك من خلال سرد الأبواب التي طرقها أبو عبيد، وأذكر في أي أنواع علوم القرآن أفاد كل من الزركشي والسيوطي من تلك الأبواب كما يلي:

١. باب تأليف القرآن وجمعه ومواقع حروفه وسوره^(٧): أفاد السيوطي منه في النوع الحادي والأربعين: في معرفة إعرابه، نقل عنه - مصرحاً بكتابه - آثاراً عن الصحابة في بعض مشكل إعراب القرآن^(٨).

(١) المرجع السابق (ص ١٥).

(٢) المرجع السابق (ص ١٠٨ - ١١٢، ١١٧، ١١٩). كذلك أفاد كثيراً في الرسم من كتاب أبي عبيد في القراءات. ينظر: جهود أبي عبيد القاسم بن سلام في علوم القراءات (ص ٩٣).

(٣) البيان في عدّ آي القرآن (ص ٢١، ٢٣، ٢٤).

(٤) المرجع السابق (ص ١٢٩، ١٣١).

(٥) المرجع السابق (ص ١٣٢ - ١٣٤، ١٣٨).

(٦) ينظر أيضاً (٣٣، ١٦٠، ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٢١).

(٧) الفضائل (٩١/٢).

(٨) الإتقان (٤/١٢٣٦ - ١٢٣٨، ١٢٤٣).

٢. باب الزوائد من الحروف التي خولف بها الخط في القرآن^(١):

◀ أفاد الزركشي منه في النوع الثاني والعشرين: معرفة اختلاف الألفاظ بزيادة أو نقص أو تغيير حركة أو إثبات لفظ بدل آخر^(٢)، نقل كلام أبي عُبَيْدٍ بِطُولِهِ في بيان الفائدة والمقصد من نقل القراءات الشاذة وأنه لتفسير القرآن، وهو قول مشهور عن أبي عُبَيْدٍ يتناقله أهل العلم في دواوينهم^(٣).

◀ وأفاد السيوطي منه في الأنواع التالية:

- النوع السادس عشر: في كيفية إنزاله: أورد أثراً لابن مسعود في الاستشهاد لأحد الأقوال في الأحرف السبعة^(٤).
- النوع التاسع عشر: في عدد سُورِهِ وآيَاتِهِ وكلماته وحروفه: أورد رواية أبي عُبَيْدٍ لأثر ابن سيرين في كتابة أُبَيِّ بن كعب - رضي الله عنه - لسورتي الخَلْعِ والحَفْدِ المنسوختين في مُصْحَفِهِ، وتَرَكَ ابن مسعود - رضي الله عنه - لكتابة المَعْوِذَتَيْنِ في مُصْحَفِهِ^(٥).
- من النوع الثاني والعشرين إلى السابع والعشرين: معرفة المتواتر والمشهور والآحاد والشاذ والموضوع والمدرج: أشار إلى رواية الأثر السابق^(٦)، كما أوردَ نص أبي عُبَيْدٍ في بيان الفائدة والمقصد من نقل القراءات الشاذة وأنه لتفسير القرآن، فيما يقارب نصف صفحة^(٧).

(١) الفضائل (١٠٥/٢).

(٢) البرهان (٣٣٦/١ - ٣٣٨).

(٣) الفضائل (١٥٣/٢ - ١٥٥).

(٤) الإتيان (٣١٩/١).

(٥) المرجع السابق (٤٢٣/٢).

(٦) المرجع السابق (٥٢٢/٢).

(٧) المرجع السابق (٥٣٣/٢).

٣. باب ذكر ما رفع من القرآن بعد نزوله ولم يثبت في المصاحف^(١): أفاد السيوطي منه في النوع السابع والأربعين: في ناسخه ومنسوخه، إذ نقل عدداً مما رواه أبو عبيد من منسوخ التلاوة^(٢).

٤. باب لغات القرآن وأيّ العرب أنزل القرآن بلغته^(٣):

◀ أفاد منه الزركشي في الأنواع التالية:

- النوع الحادي عشر: معرفة على كم لغة نزل: فقد نقل تقرير أبي عبيد بتواتر أحاديث الأحرف السبعة عدا حديث سَمُرَة. ثم نقل عنه رأيه المشهور في تفسيرها^(٤).
- النوع السادس عشر: معرفة ما وقع فيه من غير لغة أهل الحجاز من قبائل العرب، إذ نقل أكثر من نصف صفحة من مرويات أبي عبيد وتقاريره بنصها^(٥).

◀ كما أفاد السيوطي عنه في الأنواع التالية:

- النوع السادس عشر: في كيفية إنزاله: ذكر ما نصّ أبو عبيد عليه من تواتر حديث الأحرف السبعة وذلك تحت المسألة الثالثة: في الأحرف السبعة التي نزل عليها القرآن^(٦). كذلك أورد فيه رأي أبي عبيد في الأحرف السبعة وبعض ما استدل به من آثار^(٧)، ثم ذكر تفسير أبي عبيد المشهور في ذلك وتوجيهه له ومناقشته لما قد يعترض به على ذلك القول.

(١) الفضائل (١٤٦/٢).

(٢) الإتيان (١٤٥٥/٤ - ١٤٦٢).

(٣) الفضائل (١٦٣/٢).

(٤) البرهان (٢١٢/١، ٢١٧)، الجدير بالذكر أن أبا عبيد من أقدم من قَسَرَ حديث الأحرف السبعة وحكم بتواتره، وهو أول من حمّله على لغات العرب، وتبعه في ذلك ثعلب، والأزهري، وابن عطية، والبيهقي، وغيرهم. ينظر: الأجوبة العلمية على أسئلة ملتقى أهل التفسير (ص ٢٨).

(٥) البرهان (٣٨٣/١).

(٦) الإتيان (٣٠٨/١).

(٧) المرجع السابق (٣٢٠/١، ٣٢١).

- النوع السادس والثلاثين: في معرفة غريبه: أورد فيه ما رواه أبو عبيد من أن ابن عباس كان يُنشد الشعر إذا سُئل عن القرآن^(١).
- النوع السابع والثلاثين: فيما وقع فيه بغير لغة الحجاز: أورد عدداً من مرويات أبي عبيد عن عكرمة في تفسير بعض ألفاظ القرآن^(٢).
- ٥. باب إعراب القرآن^(٣) والكلام وما يستحب للقارئ من ذلك وما يؤمر به^(٤): أفاد السيوطي عنه - مصرحاً بكتابه - تحت الأنواع التالية:
 - النوع الحادي والأربعين: في معرفة إعرابه: نقل عنه أثرين في الحث على تعلم العربية لمعرفة معاني القرآن^(٥).
 - وأعاد في النوع الثامن والسبعين: معرفة شروط المفسر وآدابه^(٦).
- ٦. باب منازل القرآن بمكة والمدينة وذكر أوائله وأواخره^(٧): أفاد منه السيوطي - مصرحاً بكتابه - تحت الأنواع التالية:
 - النوع الأول: معرفة المكي والمدني^(٨).
 - النوع السابع: معرفة أول ما نزل^(٩).
 - النوع الثامن: معرفة آخر ما نزل^(١٠).

(١) المرجع السابق (٨٤٨/٣). وأورد فيه تفسير أبي عبيد لذلك بقوله: «يعني كان يستشهد به على التفسير».

(٢) المرجع السابق (٩٠٤/٣ - ٩٠٥)، مما يجدر ذكره أن السيوطي لخص في هذا المبحث ما ورد في كتاب «لغات القبائل» المنسوب إلى أبي عبيد (٩٠٩/٣ - ٩٢٩)، وتقدم أن نسبته إلى أبي عبيد القاسم بن سلام غير صحيحة.

(٣) المراد بذلك معرفة معاني ألفاظه كما ذكر السيوطي في الإتيان (٧٣٠/٣).

(٤) الفضائل (١٧٧/٢).

(٥) الإتيان (١٢١٩/٤ - ١٢٢٠).

(٦) المرجع السابق (٢٢٩٤/٦).

(٧) الفضائل (١٩٧/٢).

(٨) الإتيان (٥٦/١) سرد فيها ما أورده أبو عبيد من رواية علي بن أبي طلحة في المكي والمدني من السور، (٦٢/١) في ذكر قول مجاهد بمدينة الفاتحة، (١٠٦/١) قول علقمة في ضابط المكي والمدني، تحت مسألة ضوابط.

(٩) الإتيان (١٦٠/١).

(١٠) المرجع السابق (١٨٠/١).

٧. باب تأويل القرآن بالرأي وما في ذلك من الكراهة والتغليظ^(١): أفاد منه السيوطي تحت الأنواع التالية:
 - النوع السادس والثلاثين: في معرفة غريبه^(٢).
 - النوع الثامن والأربعين: مُشكِّله ومُوهِّم الاختلاف والتناقض^(٣).
٨. باب الاسترقاء بالقرآن وما يكتب منه ويتعلق للاستشفاء به^(٤): أفاد منه السيوطي في النوع الخامس والسبعين: في خواص القرآن^(٥).
٩. باب نقط المصاحف وما فيه من الرخصة والكراهة^(٦): نقل عنه السيوطي روايات في النوع السادس والسبعين: في مرسوم الخط وآداب كتابته^(٧).
١٠. باب تعشير المصاحف وفواتح السور ورؤوس الآي^(٨): نقل عنه السيوطي روايات في النوع السادس والسبعين: في مرسوم الخط وآداب كتابته^(٩).
١١. باب تزيين المصاحف وحليتها بالذهب والفضة^(١٠): نقل عنه السيوطي روايات في النوع السادس والسبعين: في مرسوم الخط وآداب كتابته^(١١).
١٢. باب كتابة المصاحف وما يستحب من عظيمها، ويكره من صغرها^(١٢): نقل عنه السيوطي روايات في النوع السادس والسبعين: في مرسوم الخط وآداب كتابته^(١٣).

(١) الفضائل (٢١١/٢).

(٢) الإتيان (٧٣١/٣ - ٧٣٢): أورد عدداً مما ذكره أبو عبيد من روايات في هذا الباب - مصرحاً بكتابته -، وذلك استدلالاً على وجوب التثبت لمن أراد الخوض في التفسير ومعرفة معاني ألفاظ القرآن.

(٣) المرجع السابق (١٤٧٦/٤ - ١٤٧٧).

(٤) الفضائل (٢١٩/٢).

(٥) الإتيان (٢١٧٧/٦، ٢١٨٧، ٢١٩٠).

(٦) الفضائل (٢٣٠/٢).

(٧) الإتيان (٢٢٤٦/٦).

(٨) الفضائل (٢٣٢/٢).

(٩) الإتيان (٢٢٤٦/٦).

(١٠) الفضائل (٢٣٤/٢).

(١١) الإتيان (٢٢٤٣/٦).

(١٢) الفضائل (٢٣٦/٢).

(١٣) الإتيان (٢٢٤٠/٦).

ومن جملة أبواب قراء القرآن ونعوتهم وأخلاقهم منه^(١):

◀ أفاد الزركشي منها في البرهان في النوع التاسع والعشرين: في آداب تلاوته وكيفيتها^(٢).

◀ كما أفاد منها السيوطي في الإتيان في النوع الخامس والثلاثين: في آداب تلاوته وتاليه، أورد عنه أحاديث تحت عدة مسائل منها:

- مسألة كراهية الختمة في أقل من ثلاث^(٣).
- مسألة القراءة في المصحف أفضل من القراءة من حفظه^(٤).
- مسألة أولوية قراءة القرآن على ترتيب المصحف^(٥).

كذلك أفاد الزركشي والسيوطي من أبواب «فضائل القرآن»^(٦) في مسائل من غير الفضائل، من ذلك:

◀ نقل الزركشي عنه في الأنواع التالية:

- النوع الرابع عشر: معرفة تقسيمه بحسب سوره وترتيب السور والآيات وعدها^(٧).

(١) الفضائل (٢٨٧/١ - ٣٧٦).

(٢) البرهان (٤٥٦/١)، نقل رواية أبي عبيد عن ابن مسعود فيمن يقرأ القرآن منكوساً ثم نقل تفسير أبي عبيد لذلك وهو معنى نفيس، ذكره في الفضائل (٢٩٤/١).

(٣) الإتيان (٦٦٢/٢ - ٦٦٤)، أورد أبو عبيد في باب القارئ يقرأ القرآن في سبع ليال إلى ثلاث، الفضائل (٣٥٠ - ٣٧٧/١).

(٤) الإتيان (٦٩٣/٢)، أورد رواية لأبي عبيد في ذلك وعزاها إليه وضعفها، وهي في الفضائل تحت باب فضل قراءة القرآن نظراً وقراءة الذي لا يقيم القرآن (٢٨٢/١).

(٥) الإتيان (٧٠١/٢ - ٧٠٣). أورد رواية لأبي عبيد في خلط سورة بسورة، ثم ذكر نص كلامه في المسألة وأنه يرى كراهة ذلك، وتوجيه ما روي في خلاف ذلك، وهو في الفضائل تحت باب: القارئ يقرأ القرآن من مواضع مختلفة أو يفصل القراءة بالكلام (٣٦١/١ - ٣٦٢).

(٦) وهي التي أطلق أبو عبيد عليها: «جماع أبواب سور القرآن وآياته وما فيها من الفضائل» (١٧/٢ - ٩٠).

(٧) البرهان (٢٤٤/١)، فقد أورد حديث وائلة بن الأسقع من رواية أبي عبيد، وهو في الفضائل: باب فضائل السبع الطول، كما صرح بنقله بعض الروايات في فضل بعض السور مستخرجاً منها بعض أسماء السور، البرهان (٢٤٨/١)، كذلك صرح بنقل أثر ابن مسعود في تنكيس القرآن عنه (٢٥٧/١).

- في النوع التاسع والعشرين: في آداب تلاوته وكيفيتها؛ تحت مسألة: قراءة القرآن المصحف أفضل أم على ظهر قلب؟^(١)، ومسألة: ترك خلط سورة بسورة^(٢)، ومثلها مسألة أحكام تتعلق باحترام المصحف وتبجيله^(٣).
- في النوع الثلاثين: في مسألة هل يجوز في التصانيف والرسائل والخطب استعمال بعض آيات القرآن؟ تحت عنوان: يُكْرَهُ صَرْبُ الْأَمْثَالِ بِالْقُرْآنِ^(٤).
- ◀ أما السيوطي فقد نقل من هذا الباب عدداً كبيراً من الآثار^(٥)، كما أفاد منه في غير هذا العلم تحت الأنواع التالية:
- النوع الثالث: معرفة النهاري والسفري^(٦).
- النوع الثالث عشر: ما نزل مُفْرَقاً وما نزل جَمْعاً^(٧).
- النوع الثالث عشر: ما نزل مُشْتَبِعاً وما نزل مُفْرَداً^(٨).
- النوع الخامس عشر: ما أنزل منه على بعض الأنبياء^(٩).
- النوع الخامس والثلاثين: في آداب تلاوته وتاليه^(١٠).

(١) البرهان (١١/٤٦٢ - ٤٦٣).

(٢) البرهان (١/٤٦٩)، نقل عنه ما يقارب نصف صفحة مُصَرَّحاً بالنقل من الفضائل، وهي في الفضائل تحت باب القارئ يقرأ القرآن من مواضع مختلفة أو يُفْصَلُ القِراءَةَ بالكلام (١/٣٦٠).

(٣) البرهان (١/٤٧٩) وهو في الفضائل، باب: تعشير المصاحف وفواتح السور ورؤوس الآي (١/٢٣٢).

(٤) البرهان (١/٤٨٣)، فقد أورد عن أبي عبيد ما يتعلق بذلك مُصَرَّحاً بكتابه، إضافةً لتفسير أبي عبيد لمعنى ذلك، فيما يقارب نصف صفحة، وهو في الفضائل تحت باب ما يستحب لحامل القرآن من إكرام القرآن وتعظيمه وتزويجه (١/٢٩٧).

(٥) الإقتان (٦/٢١٠٢ - ٢١٣٢).

(٦) نقل عنه رواية نزول سورة الأنعام مُصَرَّحاً بكتابه، الإقتان (١/١٤٢).

(٧) كَرَّرَ نقل الرواية السابقة عنه، الإقتان (١/٢٤٥).

(٨) نقل حديث علي رضي الله عنه الموقوف عليه في فضل آية الكرسي تحت عنوان فائدة (وهي في ذكر أدلة الآيات التي نزلت من كثر العرش)، الإقتان (١/٢٥٧).

(٩) أورد أثر كعب عن كون البسملة أول ما نزل في التوراة، الإقتان (١/٢٦٤). الجدير بالذكر أن هذا النوع من علوم القرآن انفراد السيوطي بذكره، ولم يذكره أحد قبله. ينظر: علوم القرآن بين البرهان والإقتان (ص ٤٧٩).

(١٠) أورد مسألة سُنِّيَّةِ القِراءَةِ بتدبير، ثم ما رواه أبو عبيد في التأمين لآخر سورة البقرة، الإقتان (٢/٦٨٣)، وهو في الفضائل تحت باب فضل سورة البقرة وخواتيمها وآية الكرسي (٢/٣٢ - ٣٩).

- النوع السابع والأربعين: في ناسخه ومنسوخه^(١).
- النوع الحادي والخمسين: في وجوه مخاطباته^(٢).
- النوع الرابع والسبعين: في مفردات القرآن^(٣).

إضافة إلى ما تقدم أذكر بعض الملاحظات المهمة حول إفادة أهل العلم من كتاب أبي عُبَيْدٍ، والتي تُجَلِّي أهميته، وكونه مصدراً أصيلاً لهم، من ذلك:

◀ أن عَلمَ الدين السخاوي (ت: ٦٤٣هـ) في «جمال القراءة» اعتمد اعتماداً كبيراً على كتاب أبي عُبَيْدٍ في نقل مروياته في مسائل كتابه، إضافة إلى نقل آراء أبي عُبَيْدٍ وتحريراته^(٤)، ولولا خشية الإطالة لَفَصَّلْتُ تلك الإفادات كما فَصَّلْتُها في البرهان والإتقان^(٥).

◀ أن إفادة السيوطي في الإتقان من كتاب أبي عُبَيْدٍ فاقت إفادته من «فنون الأفتان» لابن الجوزي (ت: ٥٩٧هـ) بكثير^(٦)، كما قاربت أو فاقت إفادته من السخاوي في «جمال القراءة»^(٧)، كذلك فاقت بكثير إفادته من أبي شامة (ت: ٦٦٥هـ) في «المرشد الوجيز»^(٨).

(١) نقل رواية أبي عُبَيْدٍ عن الحسن وأبي ميسرة أنه ليس في المائدة منسوخ، الإتقان (١٤٥٢/٤)، وهو في الفضائل باب فضل المائدة والأنعام (٤٦/٢).

(٢) نقل عنه روايته لقول ابن مسعود المشهور: «إذا سمعت الله يقول: يا أيها الذين آمنوا فأرعبها سمعك، فإنه خير يأمر به أو شر ينهى عنه»، الإتقان (١٤٩٥/٤)، وهو في الفضائل باب فضل الحظ على القرآن (٢٥٩/١).

(٣) نقل قول ابن عباس وابن عمرو رضي الله عنهم عن أروى في القرآن، الإتقان (٢١٦١/٤)، وهي في الفضائل باب فضائل من آيات القرآن (٨٦/٢).

(٤) وربما ناقش بعضها. ينظر: جمال القراءة (٨٠ - ٨٥، ٩٢ - ٩٤، ١١٠، ١٢٤، ١٥٤).

(٥) ومما يَجْدُرُ ذِكْرُهُ أن محقق طبعة دار ابن كثير لفضائل أبي عُبَيْدٍ ذكروا أن السبب الباعث على تحقيقهم له هو أنهم كانوا ابتداء قيد تحقيق كتاب «جمال القراءة» ولفت نظرهم كثرة نقولات السخاوي من فضائل أبي عُبَيْدٍ، فعدوا العزم على تحقيقه، ولاسيما أن كثيراً من مروياته قد ساقها السخاوي في «جمال القراءة» وقد خرَّجوها، مما سهَّل عليهم تحقيق كتاب أبي عُبَيْدٍ. ينظر: مقدمة تحقيق فضائل القرآن طبعة دار ابن كثير (ص ٥، ٦).

(٦) ينظر: فهرس الإتقان (٢٧٩٠/٧، ٢٨٤١، ٢٩١٣، ٢٩١٤).

(٧) ينظر: فهرس الإتقان (٢٨١٥/٧، ٢٨٤١، ٢٩٠٢، ٢٩١٣).

(٨) ينظر: فهرس الإتقان (٢٨٢٣/٧، ٢٨٤١، ٢٩١٣، ٢٩١٩).

أما كُتُب الحارث المحاسبي فلم ينقل عنها السيوطي إلا في موضع واحد، من كتاب واحد أطلق عليه «فهم السنن»^(١)، فإذا كان هذا فُصَّارِي ما أفاده السيوطي من الحارث، وهو المُتَوَسِّع في مصادره واطِّلاعه؛ فعدم إفادة عَيْرِه من الحارث من باب أولى.

كل هذا - وما تقدَّم من ميزات وشواهد - تُبرِّز لنا معلماً واضحاً، وطرفاً جلياً في كَوْن كتاب «فضائل القرآن ومعالمه وآدابه» لأبي عُبَيْد القاسم بن سَلَّام (ت: ٢٢٤هـ) أولى من كتاب تلميذه الحارث المحاسبي (ت: ٢٤٣هـ) الموسوم بـ «فهم القرآن» في نَيْل الأَوْلِيَّة في تأليف كتب علوم القرآن الجامعة، لكن أعود وأؤكد مرة أخرى أن «...هذه النتيجة بناء على ما وصل إلينا واطلعنا عليه، وليست على وجه القطع واليقين»^(٢). والله أعلم.

وأخيراً أودُّ أن أنبِّه أن ما عرضته عن كتاب أبي عُبَيْد يدرکه المتخصصون ويعرفونه جيداً؛ لكن يبدو أنهم دُهِلوا عن تقريره، ولم يلتفتوا إلى ذكره ضمن كتب علوم القرآن الجامعة!^(٣) بل يُمكن تقرير ذلك لو كان الكتاب مفقوداً؛ وذلك لكثرة النقول عنه في مختلف علوم القرآن المفردة والجامعة، فكيف إذا كان الكتاب بين أيدينا نهله منه كما نهله المتقدمون!؟

كما أنبِّه على أن ما أبرزت في هذه الدراسة لا أزعم أي أول من قال به، فقد أشار إليه الأستاذ عبد الواحد الحياطي - محقق طبعة فضائل أبي عُبَيْد الصادرة عن وزارة الأوقاف المغربية - إشارةً عابرةً أثناء الدراسة المُقَدِّمة لتحقيقه^(٤)، لكنها لم تجد صدًى في الأوساط العلمية عامَّة، وفي من ألَّف في علوم القرآن خاصَّة، رغم مضي أكثر من عشرين سنة على ذلك، فبقِيَت إشارته طَيِّ الكتمان، ومَحْتَهَا صوارف الزمان، فكأنما كانت صرخةً في وادٍ، أو

(١) الإيتقان (٣٨٥/١)، ولم يتبين لي أهذا الكتاب هو فهم القرآن أم غيره؟.

(٢) علوم القرآن بين البرهان والإيتقان (ص ٩٥).

(٣) لعلني أَرُدُّ سبب ذلك إلى أمرين اثنين؛ أحدهما: ما اشتهر به الكتاب من كونه في الفضائل، والآخر: تأخر طباعة هذا الكتاب نسبياً، حيث صدرت أول طبعة له - حسب علمي - عام (١٤١١هـ) بتحقيق وهي سليمان غاوجي، عن دار الكتب العلمية ببيروت.

(٤) قال عند مبدأ عرض محتوى الكتاب: «... وقد ضم في مواده الوافرة من علوم القرآن وجمعها وتنوعها وتأسيس أسسها ما يجعله أقرب وأولى أن يسمى «أول كتاب في علوم القرآن والدراسات القرآنية في الأمة الإسلامية» فيما وصل إلينا من أوائل مؤلفات عصر التدوين». مقدمة تحقيق فضائل القرآن (٢٠٧/١).

نسخة في رمادٍ، لكونها إشارةً عابرةً بين ثنايا مُقدّمته، لم تحظْ بالإبراز والتقرير، أو مجرد خاطرةٍ في أثناء ترجمته، لم ترقَ إلى البحث والتحرير.

وكنت قبل أن أقف على إشارته قد شرعت في تقرير هذه المسألة وإبرازها في هذه الدراسة، حفظاً لحقّ هذا الإمام، وتذكيراً بمكانته في علوم القرآن، ثم لما وقفت على إشارته، ورأيت ما آل إليه قوله، اعتراني ما اعترى السيوطي حين عزم على تأليف الإتيقان ثم وقف على برهان الزركشي، وقلت كما قال: «ازددتُ به سروراً، وحمدتُ الله كثيراً، وقوي العزم على إبراز ما [بدأته]، وشدّدت الحزم في إنشاء هذا [البحث] الذي قصدته»^(١).

وأختم بلفتةٍ جديدة بالذكر سطرها الدكتور عدنان زرزور حين قال: «ونكتفي بالإشارة هنا إلى أن من البعيد حقاً أن تكون علوم القرآن مجموعةً في صدور المُبرزين من العلماء في القرن الثاني، ثم لا يتنبّه أحدٌ للكتابة فيها مجموعةً قبل أواخر المائة الرابعة من الهجرة، على مذهب من يظن أن كتاب «الحوفي» السابق في هذه العلوم وليس في تفسير القرآن»^(٢).

وقد صدق - حفظه الله - في حدّسه، فها هو علم أعلام علوم القرآن في القرن الثاني الهجري أبو عبيد القاسم بن سلام - وهو ممن كانت علوم القرآن مجموعة في صدره - قد ألف فيها مفردةً وجامعةً، فحقّ أن يكون أول من ألف في علوم القرآن.

(١) الإتيقان في علوم القرآن (١٤/١)، مع تصرف يسير.

(٢) علوم القرآن وإعجازه وتاريخ توثيقه (ص ١٩٢).

الخاتمة

بعد هذا التّطواف مع عَلمِ أعلام القرن الثاني الهجري في علوم القرآن؛ أبي عُبيد القاسم بن سَلام (ت: ٢٢٤هـ)، ومع كتابه الممتع: «فضائل القرآن ومعالمه وآدابه»؛ توصلت إلى نتيجة بارزة في أنّ أبا عُبيد بكتابه أوّل مَنْ أَلّف في علوم القرآن بمعناه الاصطلاحي اللّقبى الجامع المستقل، وهذا ما ظهر لي بعد أن أوردت أبرز الأقوال في تلك المسألة، وأقدم من نُسبت إليه تلك المكانة، وهو الحارث المحاسبي (ت: ٢٤٣هـ) تلميذ أبي عُبيد بكتابه «فهم القرآن»، ثم وازنت بين الكتابين، مقرراً هذه النتيجة من جوانب عديدة، يأتي على رأسها أمران:

(أ) تقدم أبي عُبيد القاسم بن سَلام، ومكانته العلمية من بين أعلام القرنين الثاني والثالث في مختلف الفنون والعلوم عموماً، وعلوم القرآن خصوصاً.
 (ب) تميّز كتابه بأمر منها:

١. تعدد علوم القرآن المذكورة فيه، إذ نافت على عشرين نوعاً، مما يثبت تصنيفه ضمن كتب علوم القرآن الجامعة، لا المفردة.
٢. تميّز عنوانه بوجود لفظ مقارب للقب «علوم القرآن» الاصطلاحي، وهو لفظ «معالم» التي يدل - لغة - على آثار الشيء، ودلائله، وعلاماته، التي تميّزه عن غيره، وهذه المعاني يمكن إطلاقها على علوم القرآن بمعناه الاصطلاحي، إذ هي من آثار القرآن، ودلائله، وعلاماته، التي تميّزه عن غيره.
٣. أن مقصود تأليف الكتاب هو علوم القرآن أصالةً.
٤. أثره الواضح في كتب علوم القرآن اللاحقة؛ المفردة منها والجامعة - ولاسيما البرهان للزركشي، والإتقان للسيوطي - ما لا تجده في بعض أشهر كتب علوم القرآن الجامعة.

هذا إضافة إلى تميزه بإيراد آثاره مسندةً أسانيد عالية؛ لا يماثله في ذلك كتاب آخر من علوم القرآن، مما جعله مصدراً أصيلاً للكتب التي أُلّفت في مختلف أنواع علوم القرآن وغيرها.

وأحسب أن ذلك لا يتفق مع الحارث المحاسبي - رحمه الله - وكتابه، فليس له كتاب مشهور في الدراسات القرآنية ترك أثراً فيمن بعده - فيما أعلم - حتى كتابه «فهم القرآن»، ولم تُعرف له المكانة المتقدمة الجليّة في علوم القرآن. وهذه النتيجة ليست على وجه القطع واليقين، ولكن بناء على ما توصلت إليه مما اطلعت عليه.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

فهرس المراجع

أولاً: الكتب المطبوعة:

١. الإتقان في علوم القرآن: للسيوطي:
تحقيق: مركز الدراسات القرآنية بمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف
بالمدينة المنورة، (ط١)، (١٤٢٦هـ).
- و تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، لبنان، (١٣٩١هـ).
٢. الأجوبة العلمية على أسئلة ملتقى أهل التفسير: أ.د. غانم قدوري الحمد، دار عمار،
الأردن، (ط١)، (١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م).
٣. استدراقات على تاريخ التراث العربي: أ.د. حكمت بشير ياسين، دار ابن الجوزي،
الدمام، (ط١)، (١٤٢٢هـ).
٤. إعراب القرآن: أبو جعفر النحاس، تحقيق: د. زهير غازي زاهد، عالم الكتب، (ط٢)،
(١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م).
٥. إنباه الرواة على أنباه النحاة: جمال الدين القفطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم،
دار الفكر العربي، القاهرة، (ط١) (١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م).
٦. البرهان في علوم القرآن: للزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة،
بيروت، (١٣٩١هـ).
٧. البيان في عدّ آي القرآن: لأبي عمرو الداني، تحقيق: أ.د. غانم قدوري الحمد، مركز
المخطوطات والتراث والوثائق، الكويت، (ط١) (١٤١٤هـ - ١٩٩٤م).
٨. تذكرة الحفاظ: لشمس الدين الذهبي، تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي، دار المعارف
العثمانية، الهند.
٩. دراسات في علوم القرآن الكريم: أ.د. فهد بن عبد الرحمن الرومي، (ط١٣) (١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م).
١٠. الدر المنثور في التفسير بالمأثور: للسيوطي، تحقيق: د. عبد الله التركي، دار هجر،
مصر، (ط١) (١٤٢٤هـ).

١١. تاريخ بغداد: للخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية، لبنان، دون تاريخ.
١٢. تقريب التهذيب: لابن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد عوامة، دار الرشيد، حلب، (ط٤) (١٤١٢هـ - ١٩٩٢م).
١٣. تهذيب التهذيب: لابن حجر العسقلاني، دار صادر، بيروت.
١٤. تهذيب الكمال في أسماء الرجال: لأبي الحجاج المزي، تحقيق: د. بشار عواد، مؤسسة الرسالة، بيروت، (ط١) (١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م).
١٥. تهذيب اللغة: لأبي منصور الأزهري، تحقيق: عبد السلام هارون وآخرين، المؤسسة المصرية للتأليف والنشر، القاهرة (١٣٥٤هـ).
١٦. جهود أبي عبيد القاسم بن سلام في علوم القراءات: أحمد فارس السلوم، دار ابن حزم، بيروت (ط١) (١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م).
١٧. سير أعلام النبلاء: لشمس الدين الذهبي، إشراف: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت (ط٨).
١٨. الطبقات الكبرى: لابن سعد، دار صادر، بيروت، دون تاريخ.
١٩. طبقات الحنابلة: لأبي يعلى الحنبلي، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت.
٢٠. طبقات الشافعية الكبرى: للسبكي، تحقيق: محمود الطناحي وعبد الفتاح الحلو، مصورة عن ط الحلبي.
٢١. طبقات النحويين واللغويين: للزبيدي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر (ط٢) دون تاريخ.
٢٢. طبقات المفسرين: للداودي، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة وهبة، القاهرة، (ط١) (١٣٩٢هـ).
٢٣. طبقات النسابين: بكر بن عبد الله أبو زيد، دار الرشد، الرياض، (ط١) (١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م).
٢٤. العقل وفهم القرآن: الحارث بن أسد المحاسبي، تحقيق: د. حسين القوتلي (ص ٢٤٣، ٢٤٤)، دار الكندي، (ط٣) (١٤٠٣هـ - ١٩٨٢م).

٢٥. علوم القرآن بين البرهان والإتقان، دراسة مقارنة: د. حازم حيدر سعيد، دار الزمان، المدينة المنورة (ط ١) (١٤٢٠هـ).
٢٦. علوم القرآن من خلال مقدمات التفسير: د. محمد صفاء حقي، مؤسسة الرسالة، بيروت، (ط ١) (١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م).
٢٧. علوم القرآن وإعجازه وتاريخ توثيقه: د. عدنان زرزور، دار الإعلام، الأردن، (ط ١) (١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م).
٢٨. غاية النهاية في طبقات القراء: لابن الجزري، عني بنشره براجستر، دار الكتب العلمية (١٤٠٠هـ).
٢٩. الغريب المصنف: لأبي عبيد القاسم بن سلام، تحقيق: د. رمضان عبد التواب، ونشرته مؤسسة مكتبة الثقافة، القاهرة (ط ١) (١٩٨٩م).
٣٠. فضائل القرآن ومعالمه وآدابه: أبو عبيد القاسم بن سلام: تحقيق: الأستاذ أحمد بن عبد الواحد الحياطي، وزارة الأوقاف المغربية (١٤١٥هـ).
- وتحقيق: مروان العطية وآخرين، دار ابن كثير، دمشق (١٤١٥هـ - ١٩٩٥م)، صدر باسم: «فضائل القرآن».
٣١. فنون الأفنان في عيون علوم القرآن: لأبي الفرج بن الجوزي، تحقيق: د. حسن ضياء الدين عتر، نشر دار البشائر ببيروت (١٤٠٨هـ).
٣٢. الفهرست: لابن النديم، تحقيق: رضا تجدد، دون تاريخ ومكان الطبع.
٣٣. فهرسة ابن خير الإشيبلي: تحقيق: محمد فؤاد منصور، دار الكتب العلمية، بيروت (ط ١) (١٤١٩هـ - ١٩٩٩م).
٣٤. كتاب «السلح»: أبو عبيد القاسم بن سلام، تحقيق: د. حاتم الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت (١٤٠٥هـ).
٣٥. كتاب مناهل العرفان للزرقاني، دراسة وتقويم: د. خالد السبت، دار ابن عفان، الخبر (ط ١) (١٤١٨هـ).

٣٦. لسان العرب: لابن منظور، دار صادر، دون تاريخ.
٣٧. مباحث في علوم القرآن: د. صبحي الصالح، دار العلم للملايين، بيروت (ط ١٦) (١٩٨٥م).
٣٨. مباحث في علوم القرآن: مناع القطان، دار المعرفة، القاهرة (ط ٣).
٣٩. المحرر في علوم القرآن: د. مساعد الطيار، معهد الإمام الشاطبي، جدة (ط ٣) (١٤٣٢هـ).
٤٠. المدخل لدراسة القرآن الكريم: د. محمد أبو شهبه، مكتبة السنة بالقاهرة (ط ٢) (١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م).
٤١. مقدمة «الكشف والبيان عن تفسير آي القرآن»: لأبي إسحاق الشلبي، تحقيق: د. خالد بن عون العنزي، كنوز إشبيلية، الرياض (ط ١) (١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م).
٤٢. مقدمة في أصول التفسير: شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق عصام الحريستاني، ومحمد شكور، دار عمار، الأردن (ط ١) (١٤١٨هـ - ١٩٩٧م).
٤٣. المقنع: لأبي عمرو الداني، تحقيق: محمد أحمد دهمان، دار الفكر، دمشق (ط ٢) (١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م).
٤٤. معجم الأدباء: لياقوت الحموي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، دون تاريخ.
٤٥. معجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر (١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م).
٤٦. مناهل العرفان في علوم القرآن: عبد العظيم الزرقاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، دون تاريخ.
٤٧. منهج يحيى بن سلام في التفسير: د. زكريا هاشم حبيب الحولي، دار النوادر، دمشق (ط ١) (١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م).
٤٨. وفيات الأعيان وأنباء الزمان: لابن خلكان، تحقيق: د. إحسان عباس، دار الثقافة، مصر (١٩٦٨م).

ثانياً: الدوريات:

٤٩. تحقيق نسبة كتاب «عجائب علوم القرآن»: لأبي بكر محمد بن القاسم الأنباري، د. حازم سعيد حيدر، مجلة عالم المخطوطات والنوادر، (مج ١) (٢٤).
٥٠. علوم القرآن، تاريخه وتصنيف أنواعه: د. مساعد الطيار، مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية (١٤) ربيع الآخر (١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م).
٥١. مقدمة تفسير الدر المنثور للسيوطي بين المخطوط والمطبوع: للدكتور حازم سعيد حيدر، مجلة الدراسات والبحوث القرآنية (١٤) (١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م).

ثالثاً: المواقع والبرامج الإلكترونية:

٥٢. قاعدة بيانات أوعية المعلومات القرآنية www.quran-c.com
٥٣. ملتقى أهل التفسير www.tafsir.net: مسودة بحث: «مدخل إلى علوم القرآن: التعريف، التاريخ، المصادر» فتحي بودفلة وقواسم أحمد.
٥٤. ملتقى الأدباء والمبدعين العرب www.almolltaqa.com مقالة: «مؤلفات العلامة أبي عبيد القاسم بن سلام الهروي»، د. مروان العطية.
٥٥. المكتبة الشاملة: إصدار (١٤٢٩هـ).

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
٤٣	ملخص البحث.....
٤٤	المقدمة.....
٤٦	تمهيد: التأليف في علوم القرآن وأبرز الآراء في أول من ألف فيها.....
٤٦	أولاً: التأليف في علوم القرآن.....
٤٩	ثانياً: أبرز الآراء في أول من ألف في علوم القرآن.....
٥٣	المبحث الأول: أبو عبيد القاسم بن سلام وآثاره في علوم القرآن.....
٥٣	المطلب الأول: أبو عبيد ومكانته العلمية.....
٥٧	المطلب الثاني: جهود أبي عبيد وآثاره في علوم القرآن.....
٦٢	المبحث الثاني: أولية أبي عبيد القاسم بن سلام في التأليف في علوم القرآن.....
٦٢	المطلب الأول: أئصنف كتاب «فضائل القرآن» لأبي عبيد ضمن كتب علوم القرآن المفردة أم الجامعة.....
٦٢	المطلب الثاني: هل يمكن أن يُعدَّ كتاب «فضائل القرآن» لأبي عبيد أول مؤلف في علوم القرآن؟.....
٦٩	المطلب الثالث: أثر كتاب «فضائل القرآن» لأبي عبيد في كتب علوم القرآن.....
٨١	الخاتمة.....
٨٣	فهرس المراجع.....
٨٨	فهرس الموضوعات.....